آثر الفروسية على اللغة الشعرية

عمرو بن معد يكرب الزبيدى- أنموذجاً

دكتور

الشافعي جلال الشافعي

مدرس الأدب والنقد بالكلية

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبى المصطفى، وعلى آله وصحبه وكل من اقتفى...

وبعد

فإن الشاعر ابن بيئته، يتأثر بالحياة حوله، ويتشكل أسلوبه بما فيها من أنماط معيشية وحياتية، وتسهم ظروفه الاجتماعية والثقافية فى رسم ملامح شخصيته وأبعادها النفسية.

وكان من الآثار المترتبة على هذا الارتباط، المواءمة بين الشاعر ولغته الشعرية، التى انتقاها، لينقل تجربته الشعرية، وساقها لتصوير تفاصيل من حياته، وهى ترتبط بهويته الخاصة، وتعكس أحاسيسه الوجدانية، وانفعالاته النفسية.

ويمتاز شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى بلغة تميز أسلوبه، وتحدد ملامح شاعريته، ولعل هذا التميز ينبع من كونه بطلا شجاعا، وفارسا مغوارا، تشربت روحه كؤوس الفروسية، المترعة من ينابيع البيداء، ومجاهل المفازات، وعاش فى بيئة جاهلية، تنادى بأخذ الثارات، وتهتف بشعار القوة ، لتحقيق الانتصارات.

وقد اصطبغت لغة ديوانه بلون فروسى لا يمكن تجاهله، ولا يخفى على المتبتع لشعره ملاحظته، وعليه فإن شعره يتكون من ألفاظ وتراكيب ذات علاقة وطيدة بشخصيته الفروسية، وترتبط بروافد حياته البطولية ارتباطا جليا، فكانت هذه الألفاظ والتراكيب مفاتيح نصوصه الشعرية، فى جميع قصائده، وهى العلامة البارزة التى تدل المتلقى إليه، وتأخذ بيده لمعرفة هويته.

ومن هنا أراد هذا البحث أن يقف على أثر الفروسية، وتوجيهها للغة الشاعر، ورسم ملامح معجمه اللفظى والتركيبى، فجاء بعنوان (أثر الفروسية على اللغة الشعرية عمرو بن معد يكرب الزبيدى - أنموذجا).

وقد تضمنت هذه الدراسة، مقدمة، وتهميدا، وفصلين، وخاتمة، وثبتًا للمصادر والمراجع، يعقبه فهرس الموضوعات.

فالمقدمة: فيها سر اختيار الموضوع وخطته.

والتمهيد: الفروسية واللغة الشعرية.

أولا: الفروسية معناها وأسباب نشأتها.

ثانيا: اللغة الشعرية.

وأما **الفصل الأول** بعنوان المستوى اللفظى للغة، وينقسم إلى محورين

الأول: ألفاظ الخيل وأوصافها.

الثانى: ألفاظ الحرب والجيش والأسلحة.

وأما **الفصل الثانى**: بعنوان "المستوى التركيبى والانفعالى للغة، فينقسم إلى ثلاثة محاور:

الأول: اللغة التكرارية.

الثانى: اللغة التصويرية.

الثالث: لغة الصراع والأحداث "اللغة الدموية".

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التى انتهى إليها البحث.

ويأمل هذا البحث أن يؤتى ثماره المرجوة، والحمد لله أولا وآخرًا.

التمهيد

المبحث الأول: الفروسية واللغة العربية معناها، أسباب نشأتها.

الناظر فى المعاجم العربية، يجد بعضها يربط بين الفروسية كصفة وامتلاك صاحبها لفرس، غير أن د/ طلعت صبح السيد يرى أن أمتلاك الفرس وحده لا يكفى، يقول:

"والحقيقة أن امتلاك الفرس وحده لا يكفى لأن يكون سبيلا إلى الفروسية، لأن هذا الحكم يترتب عليه أن يكون جميع أفراد العرب فرسانا، لأن امتلاك الفرس غالبا كان من لوازم كل عربى، مع اعتياد العرب على هذا فلم يكونوا جميعا فرسانا، وإنما كان الفرسان قلة بارزة فى حياتهم، وكان كثير من العرب يتمنى لو نجح فى هذا الميدان كما نجح الفرسان أنفسهم، أو على الأقل كان يأمل أن يكون من بين هؤلاء الفرسان، الذين تردد أسماؤهم مقرونة بالقوة والشجاعة أحيانا، وبشىء من الاعجاب فى كثير من الأحيان، ولكن هؤلاء لم يكتب لهم النجاح فى ميدان الفروسية، وإنما نجح فيها قلة بارزة، لما كان لديهم من مقومات ذاتية توفرت فيهم، ولم تتوفر فيمن عداهم، ومن أجل هذه المقومات لم يكتب النجاح فى الفروسية إلا لأفراد قليلة"[1].

ويؤكد رأيه برؤية أبى الطيب المتنبى فى الفارس، يتابع يقول:

"وقد فطن أبو الطيب المتنبى لهذا، فلم يسلم بأن الفارس هو الذى يمتطى ظهر الفرس فحسب، ولكنه قنن الفروسية قانونًا، وأضاف إليها شروطا لا تتوافر إلا عند القلة القليلة من الناس، فليست الفروسية عند ملاحة وجه لأنها إن كانت كذلك

([1]) الفروسية فى شعر الخوارج، د/طلعت صبح، ط مطبعة الرضا-ط الأولى ١٩٨٥م ص٥١، ٥٢.

فستكون نهبا لكل الناس، وإنما هى بأس وكفاح، والفارس عنده هو الذى يثبت على ظهر فرسه ويوقرها إذا أرادت الفرار، ودمه ينسكب من أعطافه"[1].

وكانت القوة من عوامل الفروسية، ولذلك كان الفارس القوى مكرمة من مكارم قومه، ومفخرة من مفاخرها، التى يعتزون بها، ويترنمون بأمجاها.

يقول المتنبى[2]:

وفارس الخيل من خفت فوقرها ∴ فى الدرب والدم فى أعطافه دفع

"وإذا كانت مصاحبة الفارس لفرسه فى حومة الوغى، علامة أصيلة من علامات الفروسية، فإن التنحى عنها فى ميدان القتال- أحيانا- يكون من دواعى الفخر عند العرب، لأن هذا موقف لا يقفه إلا القلة القليلة من الفرسان، وأية شجاعة تفوق هذا الذى لا يعتصم بظهر فرسه، وظهر حاله فى القتال بدون الفرس كحاله عليها، لأن هذا لا ينزل عن فرسه إلا إذا كان شجاعا يعتد بشجاعته، ومن ثم فلا ينزل إلا أولو الباس والشدة، ومن وجد فى نفسه المقدرة على ذلك"[3].

نشأة الفروسية وبواعثها:

كانت الفروسية نتيجة للبيئة الصحراوية التى نشأ فيها العربى، فأكسبته القوة والصبر والشجاعة، وغيرها من المثل التى يسعى كل فرد إلى التخلق بها.

وإذا حاولنا استقصاء بعض الأسباب، لتكون باعثا للفروسية، فسنجد فيها:

١ـ الطبيعة الصحراوية.

فالحياة القاسية التى عاش فيها العربى جعلته دائم النزاع، والتناحر، طلبا للكلأ والماء، فيخرج فى رحلات للبحث عنها، ويتصارع من أجل الحصول عليها، فكانت حياته قتالا، أو تأهبا لقتال.

---

(1) السابق ص ٥٢.

(2) شرح ديوان المتنبى- تحقيق/مصطفى السقا وآخرين- ط مطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر ١٩٧٣م ص٥٣ .

(3) الفروسية فى شعر الخوارج – د/طلعت صبح ص ٥٣ .

وبسبب ضيق العيش ، وقلة الموارد ، وجدت حركة مستمرة نحو مساقط المياه ومنبت الكلأ، فتسابقت القبائل للسيطرة عليها، ولتحمى مواقع السحاب ، فلا يرعى غريب فى حماها ، ولا يرد ماءها إلا إذا استولى عليها عنوة ، وكثيرا ما نشأت الحروب بين القبائل من أجل بئر روية ، أو أرض مخضرة ، يقول معاوية بن مالك[1]:

إذا نزل السحاب بأرض قوم . رعيناه وإن كانوا غضابا

بكل مقلص عبل شواه . إذا وضعت أعنتهن ثابا

٢ـ المرأة:

مما لا شك فيه أن العربى قد أحب المرأة وعشقها، وقدم القصيد بذكرها، وجزع من هجرها وظعنها، ومع ذلك فإن مكانتها قد تباينت، فإذا كان هناك من وصل بحالتها إلى تلك الدرجة العالية، والمكانة السامية، فهناك القلة التى كانت تئدها، خشية الانفاق والفقر.

ولعل مكانة المرأة تبرز بشكل واضح من خلال أهم معارك العرب التى دارت بسببها، فحرب البسوس دارت رحاها بين بكر وتغلب، وكانت بسبب البسوس[2]، وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، لم يطفى أوراها سوى امرأة هى "بهية بنت أوس الطائى" التى رفضت أن يدخل بها زوجها الحارث بن عوف قبل أن يصلح بين الفريقين.

(1) ديوان معاوية بن مالك – تحقيق/عزه حسن- منشورات دار الثقافة دمشق ١٩٧٢م ص١٣١.

(2) البسوس هى سعاد بنت منقذ شاعرة جاهلية كانت السبب فى إشعال فتيل الحرب بنين بكر بن وائل وغلب أربعين عامًا حتى صار يضرب بها المثل فيقال "أشأم من البسوس".

من هنا كان الرجال يستبسلون فى المعارك، حتى لا تسبى نساؤهم، ويلحقهم العار، ذلك أن النساء كن- فى الغالب- مقصد الأعداء ومبتغاهم، من هنا كانت النساء يحرضن الرجال على الاستبسال والدفاع عنهن، يقول عمرو بن كلثوم[1]:

على آثارنا بيض حسان . نحاذر أن تُقسَّم أوتهونا
أخذن على بعولتهن عهدا . إذا لاقوا كتائب معلمينا
يقتن جيادنا ويقلن لستم . بُعوُلتنا إذا لم تمنعونا
ظعائن من نبى جُشَم بن بكر . خلطن بميسم حسبًا ودينا
وما منع الظعائن مثل ضرب . ترى منه السواعد كالقلينا

ويقول عمرو بن معد يكرب[2]:

لما رأيت نساءنا . يفحصن بالمعزاء شدِّا
وبدت لميس كأنها . بدر السما إذا تُبدِّى
وبدت محاسنها التى . تخفى وما كان الأمر جدًّا
نازلت كبشهم ولم . أر من نزال الكبش بُدًّا

٣ـ الحرب:

كانت طبيعة الحياة العربية تتطلب القوة والشجاعة والإقدام فى مواجهة الخطوب، يدفعهم إلى ذلك طبيعة الحياة المضطربة، القائمة على الغزو والغارة، فهم فى حرب لا يخبو أوارها، ولا يبرد رمادها، فهى تستعر لأمور كبيرة أو صغيره، فقد يتنافسون على رياسة أو ماء أو مرعى، أو طلبا للثأر، وغير ذلك من أمور،

(1) ديوان عمرو بن كلثوم الناشر دار الكتاب العربى ١٩٦١م ص ٢٥٤ ..

(2) عمرو بن معدى كرب ح جمعه مطاع الطرابيشى ط٢- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص٦٨ . .

فكانت تتأجج الحروب بينهم، ويتقاتل الرجال، فتبرز ملامح الشجاعة والأقدام، والثبات فى ساحة المعركة، يقول عنترة[1]:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

حتى يقول: يخبرك من شهد الوقيعة أغشى الوغى وأعف عند

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هربا ولا مستسلم

جادت له كفي بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوَّم

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا

(1) ديوان عنترة بن شداد- تحقيق/ خليل الخورى- ط مطبعة الجامعة ١٨٩٣م ص١٣٥.

المبحث الثانى: اللغة الشعرية.

ترتبط اللغة الشعرية بمؤثرات اجتماعية وبيئية ونفسية وثقافية، تحيط بالشاعر، وتبلور ملامح لغته، وتدل على مناهج نصوصه، وتغير هويته الفنية، فهى انعكاس لما يدور فى خلده من أفكار وهواجس، وهى وعاء يحمل همومه وآلامه وأشجانه، ويصور ملامح شخصيته، وتحدد رموزها التى تنفرد بها على الآخرين.

فالشاعر "يفتح أعينه على مختلف الأوضاع الاجتماعية والفكرية، فيضعها بعملية غير مباشرة فى منطقة اهتماماته الحياتية، لأن الفنان إذا احتلت فكرة ما حيزا فى منطقة وعيه الجمالى، فإنه يصدر عنها بطريقة تلقائية، أما الفنان الذى لا يفرد ذلك الحيز لهذه الأمور التى تخص مجتمعه، فإن همته تقصر، ولا يطال فنه عروق المجتمع، فيهزها هزا عنيفا، وتقوم هوة متسعة بينه وبين ذلك المجتمع"[1].

ومن ثم ولعمق هذه العلاقة التى تربط الشاعر بمجتمعه وتأثره به "فإن لغة الشعر تختلف باختلاف تجارب الشاعر ذاتها، تلك التجارب التى تؤدى إلى ابداع قصيدة لها لغتها الخاصة بها، ولا تشاركها تركيباتها لغة الشاعر فى قصائد أخرى"[2].

ومن ثم ولكثرة تجارب الشاعر المختلفة، نتيجة ارتباطه بحياته فى ظروفها المتعددة والمختلفة، ينشأ للشاعر معجم لغوى، له دلالات ومعان، تدل على نفسه، وترتبط بموضوعه، وتصبح له لغته الخاصة به "ومن خيوطها ينسج الشاعر أوعية،

---

(1) لغة الشعر العربى د/ عدنان حسين قاسم– ط دار العربية للنشر مدينة نصر ط الأولى ٢٠٠٦م ص١١٣.

(2) السابق ص٨٥ .

ومن شرايينها تتدفق الحياة فى عروقه، وعلى قدر ثرائها تتوافر حيوية دافقة فى قلب الكيان الشعرى"[1].

وكى يكون للشاعر لغة شعرية خاصة ينفرد بها، لابد أن تكون لديه مهارة فائقة فى التعبير عن مكنون ذاته، وتصوير تجربته الشعرية ، فيختار الكلمات التى تناسب المعنى الذى يجول فى نفسه".

ويرى البعض أنه لابد أن تكون اللغة الشعرية شديدة التواؤم مع القضية التى يطرحها المبدع، وتتآلف مع الفنون الشعرية التى يخوض فيها، فيتخير عبارات وتراكيب، ذات طابع ينسجم مع ما يريد البوح به فى تجربته الشعرية.

وقد يشترك شعراء طبقة من الطبقات، أو فئة من الفئات فى ظروف واحدة تحيط بهم، وعوامل بيئية متشابهة، ويتقاسمون قضايا وهموما واحدة، ولكن لابد من أن يكون لكل هويته الخاصة فى لغته المستخدمة، يقول د/احمد مختار:

وذلك لأن "خضوع مجموعة من الشعراء أو الكتاب العظام لتأثيرات مشتركة، أو لبيئة مشتركة، لا يعنى إنتاج معجم شعرى مشترك، إذ يبقى لكل منهم معجمه الخاص"[2].

ولكل طائفة من الشعراء يضمهم منهج واحد، أو فن واحد، معجم شعرى يشتركون فى ألفاظه وتعبيراته، ولكل منهم وجهته ورؤيته فى استعمال اللفظ مرتبطا بنفسه، ومعبرا عن خبيئته، ومن هذه الطوائف، أو زمرة الشعراء أصحاب الأساليب والتعبيرات المشتركة، الشعراء الفرسان أو المحاربون "وأوشك هذا الضرب من الشعراء أن يجمع معجما من الألفاظ، ويوجد ضربا من الأساليب ... أما اللغة التى

([1]) التصوير الشعرى رؤية نقدية لبلاغتنا العربية د/عدنان حسين قاسم –الدار العربية للنشر ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ص٣٩.

([2]) علم الدلالة- د/أحمد مختار - دار عالم الكتب القاهرة- ط٤ ١٩٩٣م ص ١٦ .

استخدمها الشعراء المقاتلون فكانت أقرب إلى لغة الحديث وأكثر صلة بما يعرف فى ساحة المعركة، لأن الأغراض فيه تتداخل"[١].

وهذا ما نجده عند شاعرنا الفارس المغوار، والمقاتل الصنديد، عمرو الزبيدى، فاللغة الشعرية لديه تتأثر بما لديه من حس فروسى، فنحن حين نتصفح ديوانه، نجد ضربا من الشعر له طابع مختلف، وملامح خاصة تجعلنا نعيش معه أجواءه البطولية، ونستشعر مفاخره القتالية، ونشاركه ملامحه الحربية.

"ولكل شاعر منهجه وطرائقه فى التعامل مع الألفاظ ونظمها، وطريقة الشاعر فى بنائه ترجع إلى إحاطته بالظواهر اللغوية، كالاشتقاق- مثلا- والترادف، والتضاد وترجع كذلك إلى تنبهه للخصائص الدقيقة لمجعمه الشعرى، الذى يجعله قادرا على التوحد مع الحدث، إذا استطاع أن يختار ألفاظه لتكون قريبة إلى طبيعة الإحساس الانفعالى المصاحب للمعاناة"[٢].

وإذا بحثنا فى لغة عمرو الزبيدى وتصفحنا ديوانه، وجدنا شعره يدور حول محور المبادىء والأعراف السائدة فى بيئته، فيرى ان الجمال الحقيقى ليس فى حسن المظهر من ارتداء أجمل الملابس وأغلى الثياب، ولكن بالتحلى بالفضائل والمناقب التى تورث الشرف والمجد، يقول[٣]:

لـــيس الجمـــال بمئـــزر . واعلـــم وإن ردِّيـــت بـــردا

إن الجمـــــال معـــــادن ومناقـــب أو رثـــن مجـــدا

---

(١) شعر الحرب حتى نهاية القرن الأول الهجرى - د/نورى حمودى القيس- عالم الكتب ط - مكتبة النهضة العربية ص١٤ .

(٢) لغة الشعر العربى ص٨٨.

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب- مطبوعات مجمع اللغة بدمشق- جمعه مطاع الطرابيشى– ط٢- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص٧٩، ٨٠ .

وهذه نظرة سامية، عرف صفات الفروسية، وتسامقت نفسه بالتمثل بمناقب وشمائل ومروءات أخلاقية، مثل الشجاعة والكرم والنخوة والعزة والأنفة، وإغاثة الملهوف، وحماية المستجير، والذود عن الحمى والعرض، يقول[1]:

أعــاذل إنمــا أفنــى شــبابى . إجابتى الصريخ إلى المنادى

ويبقى الحلم مزيته التى تفرد بها، وكرمه الذى فاق به قومه، يقول[2]:

ويتعى بعد حلم القوم حلمى . ويفنى قبل زاد القوم زادى

والرشد، وعدم الغواية، والحزم وضبط الأمور، من المناقب التى ينادى بها فى فروسيته الاخلاقية ، يقول[3]:

أمرتــك يــوم ذى صــنعا . أمــرًا باديــا رشــده

بــأمر الحــزم تعملــه وتأيتــه وتعتمــده

وحماية المستجير، والعفو عنه من شيم الكرام، وشرف فى خلق الفارس لا يضاهيه شرف، يقول[4]:

هلا حميت طفيلا حين طاف . مئا حماة سمر الحظ تختلف

لمــا اســتجار ورأس الــرمح . عفوت عنه وبعض العفو لى

وهكذا كانت لغته الشعرية تصور ما كان يجول فى خاطره من خلجات، وما يكتظ فى أعماقه من نبضات، حتى أصبحت وعاء يحمل كل معانى الفروسية، وقالب تنصهر فيه مكنونات شاعريته.

---

(1) السابق ص١٠٦.

(2) الديوان ص ١١٠.

(3) السابق ص ٩١ .

(4) الديوان ص ١٥٢ ..

الفصل الأول
المستوى اللفظى للغة

المبحث الأول: ألفاظ الخيل وأوصافها.

الخيل مفخرة للعربى أى مفخرة، بها يرتقى القمم، ويعتلى سامقات الشمم، يقول الجاحظ:

"لقد استأثرت الخيل بحب العرب منذ أقدم العهود، لما تؤديه من خدمات يعجز عن أدائها سواها، لذلك كانت عنايتهم بها عناية شديدة، واهتمامهم بتربيتها اهتماما بالغا، ففيها من خصال الشرف والمنافع، والغناء فى السفر والحضر، وفى الحرب والسلم، وفى الزينة والبهاء، وفى العدة والعتاد، ما ليس فى غيرها من الحيوان"[1].

وقد عشقوا الخيل حتى منتهى العشق، وهاموا بها كل الهيام، واعتنوا بها منتهى العناية، واهتموا برعايتها وتربيتها وتدريبها، وجهدوا فى إعددها للحروب والأهوال.

"فالعرب آنذاك كانوا يعيشون فى حروب وغارات، وتؤكد لنا كتب التاريخ العربى، وتراثه الأدبى، أهمية الخيل فى حياة العربى، واحتفاءه به، فهو كان ولا يزال يدنها منه، ويقربها إليه، ويجعلها مشاركا له، ولعياله فى المعيشة والمأكل والمشرب.

وقد يصل فى احتفائه بها مبلغا عظيما، يصل إلى أعلى من منزلة العيال والأهل فتكون مقدمة عليهم، والأثيرة عنده، يجوعون ولا تجوع، وتأكل ولا يأكلون ومكانة الخيل لا تقتصر على مسألة الغنى والفقر، يقول ابن هذيل:

([1]) الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون- ط١ ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م حـ ١٢٠/٧.

"لم تزل العرب تفضل الجياد من الخيل على الأولاد، وتستكرمها للزينة والطرد، على انهم يطوون مع شبعها، ويظمئون مع ريها، ويؤثرونها على أنفسهم وأهليهم عند حلول الأزمة واللأواء، واغبرار أفاق السنة الشهباء، وعلى ذلك تدل أخبارهم، وتشهد أشعارهم"[1].

وكانوا يتباهون باقتنائها، ويتسابقون فى الحظو بها، والفوز بأصفاها وأنقاها نسبا، وأجودها نوعا وعتقا، يجوب بها العربى الجبال، والسهول والفلوات، ويتخذها صديقا فى الحروب والغارات، وسياجا عند مباغتة الأعداء، فخلع عليها أجمل السمات والصفات.

ومن بين "مفردات الفروسية لدى الشاعر العربى خيله وفرسه، فالعرب أولوا الخيل عنايتهم، ودارت أوصافهم لها فى شعرهم الجاهلى، فلم يكادوا يتركون عضوا من أعضائها إلا وصفوه، واشتهر كذلك جماعة من الفرسان الذين أظهروا بطولة نادرة فى حربهم عليها، لخصومهم وأقرانهم وهم كثيرون فقد كان لكل قبيلة فارسها وفرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل، وكيف يقفزون عليها، ويشهرون سيوفهم ويلوحون برماحهم وكيف يسددون ضرباتهم إلى أعدائهم"[2].

والشاعر الفارس عمرو الزبيدى، شاعر بطل، ومغامر مقدام، ألف ركوب الخيل، وصهر فى فنون القتال بها، وظهر هذا الحس الفروسى فى قصائده، فخصصها بمساحة واضحة فى لغته الشعرية، فترددت عنده لفظة الخيل أو ما يرادفها، ودارت على لسانه العديد من صفاتها وألوانها، وكل ما يتعلق بقوتها وشدتها، وجمال خلقتها، وصلابة جسدها.

---

(1) حلية الفرسان وشعار الشجعان لعلى عبد الرحمن بن هذيل الأندلس تح/محمد عبد الغنى حسن- دار المعارف- مصر ١٩٥١م ص١٧٧.

(2) تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلى- د/شوقى ضيف- ط دار المعارف – ط الأولى ١٩٦٧م ص ٣٦٦..

ومن بين ما فخر به شاعرنا فى خيله من صفات ومزايا، خفة حركتها، وتميزها بالمرونة، والمراس على فنون القتال، تطاوع فارسها على الكر والفر والانعطاف، وتسايره على المراوغة والالتفاف، دون خور أو جبن أو انهزام ودون نفور أو تعثر أو سقوط.

ولأن عمرا فارس وشاعر، تراه يعبر بشعره عن تلك السمات التى يجب أن تتوافر لخيله أو جواده فى ميدان المعركة، ليحقق بها الغلبة والنصر، وأول هذه السمات، السرعة التى تمكنه من الذهاب إلى المعركة، ليخلص مستغيثًا أو ملهوفا أو ليهجم بها على عدوه فى شجاعة تدخل الرعب والفزع فى قلبه.

وقد أكد الشاعر صفة السرعة فى مواطن متعددة من شعره، يقول[1]:

يختب العطاف حول بيوتهم . ليســـت عـــدواتنا كبـــرق

فالخبب: ضرب من العدو السريع، فيدور الشاعر بفرسه العطاف حول بيوتهم بعد محاصرتهم ومحاولة الإغارة عليهم، فالعداوة متمكنة من قلبه، وهى ما تدفعه، فهو ناجز بما وعدهم من قتل وهم ليسوا كذلك.

بل إن الشاعر لا يكتفى باختيار الفرس السريعة الشديدة فى السرعة، وإنما التى تبدو من سرعتها وكأنها تسبح فى الفضاء، يقول[2]:

وقـد أغـدو يـدافعنى سـبوح . وشـديد أسـره فعـم سـريع

إن الفرس رغم امتلائه وعظم خلقته فى اعضائه- التى تدل على قوته- لا يمل أو يكل من الجرى والعدو، ومواجهة الأعداء، وكأنه يسبح بفارسه فى الهواء، فلا يكاد يرى من سرعته وشدة عدوه.

وتظهر من اثر سرعتها فى المعركة ، حملها لفارسها ليكر على عدوه، ويحمل عليه، يقول[1]:

---

(1) الديوان ص٦٧.

(2) السابق ص١٤٢.

قد علمت سلمى وجارتها . ما قطَّر الفارس إلا أنا

شككت بالرمح حيازيمه . والخيل تعدو زيما بيننا

فالزيم: التفرق، فإذا تفرق المحاربون فى ميدان المعركة، فى محاولة لتجنب القتل ترى خيل الشاعر تجرى بفرسانها، ليحمل بعضهم على أعدائهم، فيردوهم قتلى أو مصابين.

ويحدثنا الشاعر عن أثر سرعة فرسه وشدة جريه، والأثر المترتب على ذلك، حين ترجم الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها، فيصدر عن ذلك الارتطام صوت عال، يقول[٢]:

دعانى دعوة والخيل تردى . فلا أدرى باسمى أم كنانى؟

يلجلج كنيتى ويريغ اسمى . فلا ن أمرة وأبا فلان

فكانت إحابتى إياه أنى . عطفت عليه خوار العنان

فمن شدة سرعة فرس عمرو فى الهجوم على عدوه، أحدث له صدمة أذهبت عقله وأطارت لبه، فلا يدرى بما يقول، أو يهذى هذيان المخبول، فإذا كان على تلك الحالة، عطف عليه بفرسه السريع وأجهز عليه.

وبالاضافة إلى السرعة التى يجب أن يكون عليها الفرس، فهناك صفات أخرى يذكرها الشاعر، لتتعاون مع السرعة على حمله، وتحقق انتصاراته على أعدائه، يقول[٣]:

ونجاك خوار العنان مقلص . طويل عماد الصدر من خيلك

---

(١) السابق ص ١٦٧.

(٢) السابق ص ١٧٧.

(٣) الديوان ص١٧٧.

فأداة نجاته فرسه وخيله، خصوصا إذا جمعت مع السرعة، سهولة القيادة، وطول القوائم، وكنى عن طول متنه "بطويل عماد الصدر" فيعين هذا الطول مع السرعة على شدة العدو،لاتساع الخطو، فينجو بنفسه من الهلاك.

ويؤكد الشاعر على الطول صفة ملازمة للسرعة، ولكن يضيف إليها سلاسة قيادة الخيل، وانصياعها لأوامر فارسها، يوجهها الوجه الحق، فتطيع، يقول[1]:

أعاذل شكتى بدنى ورمحى . وكل مقلص سلسل العتاد

ومع السرعة يضيف الشاعر إلى خيله ما يجعلها تقع فى النفس موقع الرهبة، فهى ضخمة فى خَلْفها، عظيمة الهيئة، يقول[2]:

وعجلزة بزل اللبد عنها . أمر سراتها حلق الجياد

وكما يحتاج الشاعر هذه الضخامة فى الخيل ، لبث الرعب والفزع فى نفس عدوه ، فإنها تساعد أيضا فى القضاء على أعدائه، يقول:[3]

أعباس لو كانت شيارا جيادنا . بتثليث ماناصبت بعدى

لدسناكم بالخيل من كل . كما داس طباخ القدور

وقد "شار" الفرس أى سمن وحسن، ومن ثم إذا احتدم القتال وأوقع الشاعر وقومه أعداءه من على ظهور خيلهم، قامت الخيل بالإجهاز عليهم "لدسناكم بالخيل من كل جانب" على أن الخيل لا تدهس رؤوس الأعداء فقط، بل إنها تحاول أن تضعف أهم قوى خصمه وعدوه، وهى فرسه، انظر إليها ماذا تفعل فى ميدان المعركة[4]:

وخيل قد دلفت لها بخيل . تحية بينهم ضرب وجيع

---

(1) السابق ص١٠٦.

(2) السابق ص ١٠٨.

(3) السابق ص ١٤٩.

(4) الديوان ص ١٤٩ .

فتحية الخيل هذا النوع من الضرب الوجيع، الذى يفل فى أداة الفارس التى تحمله وقد أكد على هذا المعنى بشطر بيت تداولته معجمات اللغة، يقول[1]:

وخيل تطأكم بأظلافها

وبالإضافة إلى السمات السابقة، لابد أن تتوافر فى الفرس صفات أخرى، لعل من أهمها وأبرزها، أن يكون عربيا أصيلا، يعرف بالمهارة والطاعة، وحسن الاستعداد للمعركة، يقول[2]:

ومـرد علـى جـرد شـهدت . قبيل طلوع الشمس أوحين

فالجرد جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر، وهذا من علامات العتق والكرم، وأكد الشاعر على صفة فرسه العربى الأصيل فى قوله[3]:

وكـم مـن فتيـه أبنـاء حـرب . علـى جـرد ضـوامر كالقـداح

صبحت بهم بيوت بنى زياد . وجـرد الخيـل تعثـر بالرمـاح

فهذه سمات الفرس المحبب، الذى يدل على نباهة ويحسن استخدامه فى ميدان المعركة، وبالإضافة إلى ذكائها، فهى كالسهم قبل أن ينسل فى الحدة والقوة دون الإصابة.

ولنباهة هذه الخيل، فقد أحسن الشاعر تدريبها، وتنمية مهاراتها، ومن المهارات التى تدربت عليها، وحسن استخدامها فى ميدان المعركة قوله[4]:

وقـد كنـت إذا مـا الحـ . ـى يومـا كرهـوا صـلحى

ألـف الخيـل بالخيـل . واكفـى النـبح بـا لنـبح

(1) السابق ص١٥٢.

(2) السابق ص ٧٠ .

(3) السابق ص ٧٦.

(4) الديوان ص ٧٨ ..

فإذا لم يكن مجالا للصلح ، حتى لو كان على كراهية، كانت المعركة التى يستعين فيها بخيله المدربة الماهرة التى تعينه وتساعده.

ومن ثم ولأهميتها تراه يعنى بها، ويهتم بأمورها وشئونها، يقول[1]:

عمرو على طول الوجى دهاها

بالخيل يحميها على دجاهـا

حتى إذا حل بها احتواهـا

فالوجى: الخف، وهو أن يرق الحافر أو القدم وينسحج، فانظر إلى عناية الشاعر بخيله، واهتمامه بترقيق حافرها، حتى تستطيع أن تعدو به، ويتحقق لها السرعة التى أخبرنا بها قبلا.

ومن ثم يختار عمرو أحسن الخيول العربية الأصيلة فى نسبها، فتراه يقول[2]:

يهجـن سـليمان بنـت البعيـ ـث جهـلا لسـلمان بالكاملـة

فـان كـان أبصـر منـى بهـا فـأمى لا أمـه هابلـة

فيعرف سليمان بسلمان الخيل، لأنه كان يلى الخيول فى خلافه عمر رضى الله عنه، والكاملة هى فرس عمر، وهى بنت البعيث، عرضها على سليمان بن ربيعة، فهجنها، فقال عمرو : هجين يعرف بالهجين، وأنشأ البيتين.

ولذلك يفضل عمرو الفرس على الزواج بالمرأة، ولا يجد عيبا فى التصريح بذلك، يقول[3]:

لقعقعـة اللجـام بـرأس طـرف أحـب إلـى مـن أن تنكحينى

فإذا أمسك بلجام الفرس، وصدر عنها صوت عال إذا وقع بعضه على بعض، يستحث الفرس على العدو والجرى، فهذا أحب إليه من أن يتزوج.

---

(1) السابق ص ١٨٣.

(2) الديوان ص ١٧٢.

(3) السابق ص ١٨١ .

ومن ثم ولحرصه عليها، فهو حريص على حياتها، يقيم أودها، ويحرص على غذائها حتى أنه يفضلها على سائر طوائف الحى بالاطعام، يقول[1]:

خيـل مربطـة علـى اعلافهـا . يقفـين دون الحـى بالالبـان

فهو يؤثرها باللبن غذاءً، على الرغم من احتياج كثير من أفراد الحى له.

ولا ينسى عمرو أن يرينا الجانب الآخر من الخيل، فإذا كانت –فيما سبق- خيل المعركة وتحقيق الانتصارات، فانظر إليه يحدثك عن خيل الهزيمة، يقول[2]:

لمـا رأى الجمـع المصـبح . مبثوثـة ككواسـر العقبـان

فماذا يصلك من كواسر العقبان؟ إنها التى تكسر جناحها وتضمها إذا أرادت السقوط فهذا الجمع من الأعداء الذين صبحوهم بغارة، كانت خيولهم أثناء المعركة وبعدها كحالة كواسر العقبان الآيلة للسقوط.

(1) السابق ص ١٥٧ .

(2) السابق ص ١٧٢.

المبحث الثانى
ألفاظ الحرب والجيش والأسلحة

أولا: ألفاظ الحرب والجيش.

كلمة الحرب رنانة لها وزنها الثقيل فى دواوين الشعر العربى، ولها تأثيرها فى تيسير مصائرهم، تبدأ الحروب بفتيل صغير، وما تلبث أن تلتهب ألسنتها نيرانا مشتعلة، تجرعوا مرارة كأسها، وذاقوا من ورائها سما زعافا، وتكبدوا من جرائها الويلات والأهوال، وعانوا من وطأتها المصائب والآلام.

فنجد هذه اللفظة تدور فى أشعارهم، ولا سيما فى شعر الفرسان منهم، تترد فى ثنايا قصائدهم ، إما بلفظها صراحة، أو بمترادفاتها، أو بأوصافها، وهذا ما نجده فى شعر عمرو الزبيدى، فقد وردت عنده كلمة الحرب وما يراد منها مثل: الهياج أو الهيجاء، أو الروع، والهزاهز، كما نجد كلمة الجيش عنده وما يتبعها من تقسيمات حربية مثل: الخميس والكتائب. ولا غرابة فى ذلك فما شعره الا انعكاسا لشخصيته البطولية، وهويته الفروسية، فنجد مثل هذه الألفاظ تتردد بايحاءات متباينة، وبدلالات مختلفة متفاوتة.

ا- ألفاظ الحرب.

وللحرب رجالها وفرسانها الموهوبين، والفارس الموهوب يدرك أن موهبته فى النزال والطعن والكر والفر، ولن نجد إلا إذا احسن الاستعداد لهذا اليوم، والشاعر عمرو الزبيدى يحدثنا عن المتمم لموهبته، وبماذا يستعد للمعركة، يقول[1]:

وكم من فتية أبناء حرب ... على جرد ضوامر كالقداح

فأدوات الشاعر التى تعين موهبته، الفرس القصير الشعر، كناية عن أصالته ومهارته العربية، وخضة وسرعته، والسهام الجاهزة فى غمدها، استعدادا للخروج والنزال والحرب والطعان.

---

(1) الديوان ص ٧٦ .

إن الفارس الحق يدرك أن موهبته وشجاعته وقوته لا تكفى وحدها زادا فى الميدان، فلابد من الأدوات المساعدة، يقول[1]:

وأعـدت للحـرب فضفاضـة . كـــأن مطاويهـــا مبـــرد

فبالرغم من مهاراته فى المبارزة، فهو لا يأمن من طعنة غادرة تأتيه ، ومن هنا يلبس الدروع الواسعة، التى يبدو عند ضم بعضها إلى بعض كالمبرد.

وأكد على أهمية لبس الفارس للدرع فى الميدان، بالتأكيد وجوده بهيئة مختلفة، يقول:

أعـددت للحـرب فضفاضـة . دلاصـا تنثنى علـى الـراهش

فإذا ضمت الدرع فكانت كالمبرد فى حدة القطع، فهى أيضا لينة لامعة ملساء، تنثنى على عروق وعصب اليدين والكتفين والصدر، فتكون أداة عون لا حمل زائد عليه.

وينفى الشاعر أن تكون الحرب بأفعالها ومشاهدها المرعبة المؤلمة سببا فى هرمه وبياض شعره، مما يدل على اعتياده لكل ما يجرى فيها، يقول[2]:

فمـا اوهـى مـراس الحـرب . ولكـن مـا تفـادم مـن زمـانى

فممارسات الشاعر فى المعركة ، وأفعاله، وما يقابله فيها من أهوال وفظائع، لم تكن هى السبب فى هرمه، والتعجيل ببياض شعره، وإنما هو تقدمه فى السن لتوالى الأيام ومرور الزمان.

ويحدثنا الشاعر عن رؤيته الفلسفية للحرب، يقول[3]:

الحـرب أو مـا تكـون فتيـة . نسـعى بزينتهـا لكـل جهـول

حتـى إذا اسـتعرث وشـب عـادت عجـوز غيـر ذات

---

(1) السابق ص ٣٣ .

(2) الديوان ص ١٣٣ .

(3) الديوان ص ١٥٥.

شـــمطاء جـــزت رأســـها مكروهـــه للشـــم والتقبيـــل

ففلسفة الحرب، الاغراء، اغراء النفس والروح بالدخول فيها، فإذا دخلها كانت عواقبها التى لا تحمد، ثم يدرك الفارس شركها، ولكن بعد فوات الأوان.

وهناك مرادفات لكلمة الحرب، جاء بها الشاعر ليدل على معانى جديدة، ومنها قوله[1]:

كـــل امـــرىء يجـــرى الـــى يـــوم الهيـــاج بمـــا اســـتعدا

فكل الفرسان تجرى إلى ميدان المعركة، فرحا بنشوبها، وتحقيقا للانتصارات، وإظهار الفتوة والعظمة فيها، وقد قال الشاعر "الهياج" بدلا من الحرب، للدلالة التى أرادها من السياق الذى وردت فيه لفظه "الهياج" فهى تدل على الاضطراب والتدافع والاختلاف نتيجة حركة العقل المستمرة فى الكيفية التى تكون عليها المعركة، وشهوة كل فارس فى تحقيق الزعامة والبطولة.

وبعد بيان حقيقة فهم الشاعر للمعركة، وبيان هذا الفهم المتمثل فى الفرار فى موطن يجب الفرار منه، يقول[2]:

كـــل مـــا ذلـــك منـــى خلـــق وبكـــل أنـــا فـــى الـــروع جـــدير

فهذا من خلق الفروسية التى يتمتع بها الشاعر، فهناك فروسية السيف، وفروسية العقل التى تحتم عليه الفرار فى موطنه فى ميدان المعركة، غير أن الشاعر عبر عنها بالروع، ليدل بها على أنها ميدان الخوف، ولكن خوف الشاعر فى موطنه هنا فروسية ، وأما فى غيرها فجبن وضعف.

وبعد أن حقق الشاعر النصر مع حلفائه بنى عوف ضد الشاعر العباس بن مرداس وقومه ، يقول عمرو[3]:

---

(1) السابق ص ٨١ .

(2) الديوان ص ١١٧ .

(3) السابق ص١٢٠ .

نـالوا بثـأرهم وفـاز رئيسـهم . بـأخى الهزاهـز تحـت نجـد

فلماذا كانت الهزاهز وليست الحرب؟ إنه الفارس يفتح ذراعيه ويهزهما وهو راكب فرسه، مندفع إلى حومه القتال، ليبث بشجاعته وجرأته الرعب فى قلب خصمه وعدوه، فيقضى عليه فى سهولة.

٢ـ ألفاظ الجيش .

والحروب لا تنشب، ويشب أوارها، إلا عن طريق التقاء الجيوش، ولذلك كان اللفظ كثير الدوران على لسان الشعراء الفرسان، فالجيش أحد طرفين، طرف مع الشاعر وطرف عليه، يظهر الشاعر مع الطرف الخصم شجاعته فروسيته وبطولته.

يقول عمرو[١]:

وهـم زاروا بنـى اسـد بجـيش . مع العبـاب جيش غيـر وغـد

والعباب ربيعة بن ودهين، وسمى العباب لأن خيله عبت من الفرات حين جاءت من اليمن، والزيارة فى الخير، وهنا يتهكم بها لأنها زيارة شؤم ، بجيش سماته الكثرة التى شبهها بخيل العباب الكثيرة .

ويبدو أن أبرز سمات الجيش وأهمها هى كثرته، فالشاعر يؤكد ذلك بقوله[٢]:

ونحـن هزمنـا جـيش صـعدة . ونحـن هزمنـا الجـيش يـوم

جوافـل حتـى ظـل جنـد كأنـه . مـن النفـع شـيخ عاصـب

فكم يقدر عدد هذا الجيش الذى يتصاعد من أرجله الغبار، فلا يستطيع أن يرى الفارس كف يده، كالشيخ العاصب بخمار، فلا يتبين معالمه.

والشاعر دائما لا يجهز إلا الجيش العرمرم، الذى لآ أول له ولا آخر، غير أنه لم يخرج به، ولنرى سبب عدم الخروج بهذا الجيش فى قول الشاعر[٣]:

---

(١) الديوان ص ٩٨.

(٢) السابق ص١٢٢ .

(٣) السابق ص .

لعمـرك لـولا أجـدع الخيـر . لقـدت إلـى همـدان جيشـا

فقد احترز بعدم تجهيزه على هذا النحو، شفاعة لزوج اخته الأجدع بن مالك، فارس همدان وشاعرها.

وهناك مرادفات للفظة الجيش، خلعت على السياق دلالات جديدة، انظر إليه يقول[1]:

لمـا رأونـى فـى الكتيفـة مقبـلا . وسـط الكتيبـة مثـل ضـوء

فمن حسن أعداد الجيش، الذى يدل على خبرة وحنكة بالحروب والمعارك، تقسيم الجيش إلى فصائل وكتائب على النظام الحديث لتجهيز الجيوش، فالكتيبة ليست الجيش، وإنما هى جماعة، فالجيش مقسم إلى كتائب لكل منها مهمتهما التى تؤديها.

ويؤكد الشاعر على هذا التقسيم الذى يدل على خبرة ومهارة فى إعداد الجيوش، يقول[2]:

ومـن سـعد كتائـب معلمـات . على ما كان من قرب وبعد

وهنا أضاف للتقسيم مزية أخرى، وهى أن لكل كتيبة علامة تميزها، وتعرف بها بعضها فى الميدان، فلا يحدث خطأ فى قتل أبناء الجيش الواحد، ولتميز عن جيش العدو فلا يخطئه .

ويدلل الشاعر على تقسيم جيشه إلى كتائب بقوله[3]:

وسـوق كتيبـة دلفـت لأخـرى . كـأن زهاءهـا رأس صـليع

---

(1) الديوان ص ٦٦ .

(2) السابق ص٩٤ .

(3) السابق ص ١٤٤ .

فالجيش كتائب مقسمة، وحين تنضم واحدة لأخرى، يصبح الجيش وحدة واحدة لا تخلخل فيها، كالجبل الأملس الذى لم يتفطر بالبنات.

ولا يفتأ الشاعر يحدثنا عن أقسام جيشه، وأهم هذه الأقسام طليعته، لما تقوم به من دور الاستطلاع فى الجيش الحديث، فتقدر عدد جيش العدو، وما هى عدته وعتاده، يقول[1]:

فأرسلنا ربيئنا فأوفى . فقال: ألا أولى خمس رتوع

ومن اسماء الجيش، الخميس، كما جاء فى قول الشاعر[2]:

نصل الخميس إلى الخميس . بالقهر بين مربق ومكلب

فالجيش مقسم إلى خمس قطع متحاربة، كما هو التقسيم المأخوذ عن الشاعر فى اعداد الجيوش فى المعارك بعد ذلك، ميمنة وميسرة ووسط وأمام ومؤخرة، لكل جماعة دورها ووظيفتها فى المعركة، وحتى لا يكون الجيش وحدة واحدة، فإذا أصابه هدف أصابه فى مقتل.

ثانيا: ألفاظ الاسلحة.

وتتناثر ألفاظ الأسلحة بشكل لا يخفى على متصفح الديوان، مما يشكل ملمحا رئيسا لدى الشاعر فى لغته، فهو فارس ظهر أثر الفروسية فى استخداماته التعبيرية، وألفاظه الحماسية، مما يؤكد روح الفخر والاعتزاز بالذات، التى تملك القدرة على توجيه تلك الأسلحة وحسن استخدامها.

ولا شك أن أسلحة الهجوم كالسيف والرمح ظهرت عنده بشكل أكثر من الأسلحة الدفاعية كالدرع والترس، وهذا إن دل على شىء، فهو يدل على شجاعة لا نظير لها، واستبسال وإقدام فى ساحة الوغى.

---

(1) الديوان ص ١٤٣ .

(2) السابق ص ٦٦.

لقد كان لطبيعة عيش العربى فى مفازات شاسعة، وسعيه على رزقه بين الأودية والسهول، وسراه فى ليل بهيم، أثر فى أن يحمل السلاح، يجابه به عدوا أو وحشا ضاريا، كما أن بيئته الجاهلية التى اعتادت الحروب واشتعال فتيلها، لأتفه الأسباب، والصراع الأزلى على الكلأ والماء، أحد الأسباب التى تتطلب منه حمل السلاح، وأن يكون رفيقه لا يغادره أبدا.

ولعل السيف يأتى فى مقدمة هذه الأسلحة، فأصبحت حمالته لا تفارق عاتقه، رفيق دربه فى المفاوز والفلوات، وساعده اليمين، وعضده الأمين، والمخلص الذى لا يخون، فعرف أنواعه وصفاته، وفخر بأجوده صناعة، وخلع عليه ألوان الأوصاف والتشبيهات يقول عمرو[1]:

ذهب الذين أحبهم . وبقيت مثل السيف فردا

فالشاعر بين هنا منزلة السيف بالنسبة لباقى أدوات الحرب، فإذا فجع الشاعر فى أحبابه، وبقى منفردا بالسيادة، فهو كالسيف لا يجتمع اثنان فى غمد، ويجوز أن يكون بقيت لنفاذى فى الأمور ومضائى كالسيف.

ولا يحمل الشاعر فى المعركة أى سيف، وإنما للسيف سمات تحببه، لأنه بها يكون وسيلة فعالة ناجعة فى حصد رؤوس الأعداء، يقول[2]:

وسيف من لدن كنعان عندى . تخير نصله من عهد عاد

فالقدم والعتق دليل الحذق فى الصنعة والمهارة فى الاخراج، يظل نصله يعمل فى رقاب الأعداء بالرغم من قدمه من عهد عاد.

ويضيف لجلال القدم والعتق، حدة القطع، يقول[3]:

فأوفى عند أقصاهن شخص . يلوح كأنه سيف صنيع

---

(1) الديوان ص ٨٢.

(2) السابق ص ١١١.

(3) الديوان ص ١٤٤.

فإذا كان السيف بهذا العتق، وهذه الحدة فى القطع، فانظر إلى آثار ضرباته الموجعة، يقول[1]:

فكم قط سيفى من قونس . غداه التقينا ومن مفرق

والقونس: أعلى بيضة الحديد، وقونس الفرس ما بين أذنيه فهى كناية عن جبهته ووجهه، فالضربة قاتلة، ومصيبة للهدف أيما إصابة، ولا يسلم منها فارس أو أداته وهو الفرس.

ولاتساع معارف الشاعر اللغوية، ومعرفته بأنواع السيوف، وأسماء أفضلها، ليستخدمها فى الحرب، تراه يذكر لنا من أسمائها ، يقول[2]:

فإنى لو أدر كتك ابن خويلد . علوتك والعزى بصمصامة

والصمصامة من أسماء السيف عند العرب، وهو الحاد القاطع، فالشاعر يقسم لابن خويلد بأنه لو أدركه لعلاه بسيفه، يقطعه به إربا.

ويؤكد الشاعر أن من يذوق ضربة سيفه الصمصام، فلن يرد الماء، لمصرعه فى الحال، يقول[3]:

وصمصاما بكفى لا . يذوق الماء من برده

فالمفارقة بين الاختلاف فى الوردين، فورد الماء حياة، وورد السيف الموت.

ومن اسماء السيف، الحسام، يقول عنه[4]:

ولقد تركت أبا تميم بعدما . عض الحسام جبينه لم يقبر

---

(1) السابق ص ١٥٣.

(2) الديوان ص ٦٩.

(3) السابق ص ٩٠ .

(4) الديوان ص ١٢٠.

فالحسام فى يد عمرو يصيب، ودائما إصابته قاتلة، وهنا عض جبين عدوه، وتركه لم يقبر، فهو يعنى أنه لم يمت، وإنما تركه بين الحياة والموت، يتألم ويتعذب

وتارة أخرى يصف إصابته وهو ينساب فى هدوء بقوله[1]:

حساما تراه كمثل الغدير . عليه كنمنمة الناقش

فإذا كان لمعان السيف كماء الغدير فى اللمعان والصفاء، وعليه كنمنمة الناقش من أثر دم الأعداء، فإنه يريد القول، إن سيفه ينساب فى هدوء، ويتسلل دون ضجيج إلى صدور أعدائه.

وأجود الأنواع تلك التى صنعت فى الهند، والتى يحرص الشاعر على أن تكون سيفه، لجودة صناعتها، وحدة شفرتها، وقوة ضربتها، يقول[2]:

ونسمع للهندى فى البيض . كرنة أبكار زففن عرائسا

فالسيف فتى كالأبكار، وصوته يرن وهو يضرب الدروع، كضرب الفتيات للدفوف فى الأفراح.

ويترك لنا الشاعر أن نتخيل ما يفعله السيف الهندى فى جسم عدوه، يقول[3]:

أرأيت إن سبقت إليك يدى . بمهند يهتر فى العظم

فالفعل أرأيت دعوة للتأمل وإجالة الفكر فيما يمكن أن يحدث لو سبقت يداه بمهنده فى جسم خصمه؟

وليست جودة الصنع قاصرة على الهند، فينسب إليها، ويحق لحامله أن يفخر، وإنما هناك السيف المصنوعة فى الأرض العربية فى اليمن، وتنسب إلى قرية من قراها، يقول[1]:

---

(1) السابق ص١٣٣ .

(2) الديوان ص ١٢٧.

(3) السابق ص ١٦٤.

بطعــن كــالحريق إذا التقينــا ∴ وضــرب المشــرفية فــى

فالمشرفى سيفه أداة طعنه فى أجسام أعدائه، انظر إلى ما فعله بهم حين التقى الفريقان فى أول الصبح، إنه كالحريق يلتهم ويأكل ، كما تأكل النار كل ما يقابلها.

ثم انظر إليه يوضح ميزة وسمة من سمات السيف المشرفى المصنوع فى الأرض العربية، إنه يمتاز بإصابة كل مكان من جسد خصمه، يقول[٢]:

ووقــع المشــرفى بحاجبيــه ∴ وجبهتـه ومـا تحـت الحـزام

والرماح تأتى فى منزلة تالية لمنزلة السيف، فالرمح أداة من أدوات الشاعر فى المعركة يقول[٣]:

أعـاذل شكتى بـدنى ورمحـى ∴ وكـل مقلـص سـلس القيـاد

فأدواته متعددة ، وأهمها أداة المعركة، الرمح، الذى يدفع به عن نفسه ويقاوم بها الأعداء.

ويستخدم الشاعر الرمح فى الموضع الذى يجب استخدامه فيه[٤]:

عــلام تقــول الــرمح أثقــل ∴ إذا أنـا لـم أطعـن إذا الخيـل

فإذا كرت عليه الخيل ولم يستخدم رمحه ، فمتى يستخدمه إذا.

إن الرمح أحد الأسباب التى تعين الشاعر على عدوه فى ميدان المعركة، انظر إليه يقول[٥]:

صبحت بهـم بيوت بنى زيـاد ∴ وجـرد الخيـل تعثـر بالرمـاح

---

(١) السابق ص ١٣٧.

(٢) الديوان ص ١٦٢.

(٣) السابق ص ١٠٦.

(٤) الديوان ص ٧٢ .

(٥) السابق ص ٧٦ .

فهى أداة مساعدة للفارس فى الإيقاع بالخصم عن طريق تعثر الخيل التى يركبون عليها.

ويعنى الشاعر برمحه عناية فائقة، فهو يعده ويجعله جاهزا فى أى وقت للدخول فى معركة، يقول[1]:

وحربة ناهل ركبت فيها . أحد ككوكب الشعرى

فالناهل: الرمح، وقد ركب فيه حربة حادة مصقولة لامعة مثل كوكب الشعرى، وقد رققها حتى تكون طعنتها حاسمة.

ولحسن إعداد الشاعر لرمحه، انظر لترى ما يفعله برماح العدو، يقول[2]:

ومنزلة فيها العوالى كأنها . هشيم شجار كسرتها

إن رمحه يجعله رماحهم بعد تحطمها كهشيم الأشجار

فالدرع من الأسلحة الواقية التى جاءت فى شعر عمرو الزبيدى ، يقول عن سماته[3]:

وأعددت للحرب فضفاضة . كأن مطاويها مبرد

فهى مبرد يتكسر عليه رماح وسيوف الأعداء، فلا ينفذ منها إلى الشاعر شىء وانظر إلى صفائها ولمعانها، فهى تبرق كماء الغدير، مما يدل على عنايته بها، وتجديدها، لتؤدى دورها فى حمايته ، يقول[4]:

علىّ مفاضة كالنهى . أخلص ماءه جدده

وهى تعنى بحياة الشاعر وتحافظ عليها، للمهارة والبراعة والاتقان وجلال القدم فى الصناعة، يقول[1]:

---

(1) السابق ص ١٣٥ .

(2) السابق ص ٦١ .

(3) الديوان ص ٨٢ .

(4) السابق ص ٨٨.

ومفاضة كالنهى محكمة . من صنع داود أبى سلم

ثم انظر إلى الترس، وسيلة الدفاع الأخرى، وماذا فعلت لحماية الشاعر، بالإضافة إلى مهارة الشاعر فى الدفاع عن نفسه، يقول[٢]:

فأبت سليما لم تمزق عما . ولكنهم بالطعن قد خرقوا

فبعد أن وقع الشاعر بين رماح وسيوف الأعداء، استطاع أن ينجو سليما من طعناتهم التى اتقاها بخبرته، فلم تصب إلا الترس الذى حمى الشاعر، بالرغم من إحداث الخروق به.

كما يؤكد الشاعر على جودة درعه، وحسن إعداده، لتحمل الضربات، يقول عن أثر جودة درعه فى مواجهة رماح العدو[٣]:

ترد الرمح منثنى الـ . سنان عواثرا قصده

فقد تثنت سنانه وتطايرت أجزاء منها، بفعل حدة الدرع التى يلبسها، فهى كالفولاذ لا ينفذ منها شىء.

ولأن الشاعر فارس فى المعركة، فارس فى أخلاقه، فإذا صادفته عثرة فى معركة، فهو يعترف لخصمه بها، يقول[٤]:

ولما دخلنا تحت فىء . خبطت بكفى أطلب الأرض

فرماح العدو تلجأ الشاعر إلى الفرار فى موطن يصح فيه الفرار، حفاظا على حياته، فليس الفرار جبنا، وإنما إدراك ومهارة.

وتظهر سيكلوجية التعامل النفسى مع الرمح فى مثل قول الشاعر[٥]:

---

(١) السابق ص ١٦٤ .

(٢) السابق ص١٢٩ .

(٣) السابق ص ٨٨.

(٤) الديوان ص ١٢٩.

(٥) السابق ص ٧٣.

فلـــو أن قـــومى انطقتنـــى . نطقت ولكن الرماح أجرت

فالاجرار أن يشق لسان الفصيل فلا يرضع، فهو منع، ففلسفته تقوم على إعلاء شأن الرماح وعدم تقصيرها، وأنها فى يد الفارس المحسن محققة ومصيبة لأهدافها، أما مع التقصير فلا يقع اللوم عليها، فالعيب ليس فيها وإنما فى فارسها.

فهو يقول: لو أن قومه أبلوا فى الحرب لافتخر بهم، وذكر بلاءهم ، ولكن رماحهم أجرت لسانه، فمنعته من العيب فيهم، على ألا يتحمل الرمح اللوم والعتاب، فقد انقطع لسانه وتوقف عن العيب فى الاثنين.

وليست المعركة كرّ فقط على الأعداء، وإنما من الفروسية إدراك الفارس لأوقات الخطر التى ينبغى عليه فيها أن يتخذ لنفسه الدروع الواقية من الطعنات الغادرة التى تأتى فجأة.

الفصل الثانى
المستوى التركيبى والانفعالى للغة

لعل سمات الفروسية، وهوية الشاعر البطولية، وملامح الحياة الحربية، جعلت الشاعر ينحو منحى جليا من حيث استخدام لغة شعرية، تصطبغ بالنزعة الحماسية، وتتلون بالروح الانفعالية، وهى لغة محملة بالطاقات التأثيرية، التى تقصد السيطرة على وجدان المتلقى وعواطفه، بإتباع أساليب وتراكيب، أو أفعال ومصادر ذات أبعاد صراعية، تختزل فى مكنوناتها دلالات قوية، ومعانى إيحائية، نفهم من سياقات الكلام، ومجريات الأحداث.

وتؤدى اللغة الانفعالية فى شعر الشاعر دورا بارزا، ويمكن تقسيمها على النحو التالى :

المبحث الأول: اللغة التكرارية .

المبحث الثانى: اللغة التصويرية.

المبحث الثالث: اللغة الدموية "لغة الصراع والأحداث".

المبحث الأول
اللغة التكرارية

وقد يكرر الشاعر بعض الأدوات، أو التعبيرات، أو الضمائر، زيادة فى معنى التهديد، أو تكثيف الطاقة الايجابية بالشعور المديحى، أو الفخر الجمعى، أو الفخر الذاتى، أو غير ذلك من الفنون.

١ـ تكرار الأداة:

وأبرز الأدوات التى كررها الشاعر، أدوات النداء، وأبرزها الهمزة، يقول[١]:

أعاذلى شكتى بدنى ورمحى . وكـل مقلـص سـلس القيـاد

اعــاذل إنمــا أفنــى شــبابى . وأقـرح عـاتقى ثقـل النجـاد

فالنداء تنبيه للعذول الغافل عن حقيقة الشاعر التى خلعها عليه ارتباطه بأهم سمات العرب التى كانت تحرص عليها، وهى الفروسية، والآثار الناجمة عنها، والدالة عليها فسلاحه فى المعركة، جسمه ورمحه وفرسه المطيع، فإذا شمت فيه عذوله لهرم سنه، فشاب شعره وانحنى ظهره، فإنما ذلك من أثار فروسيته، لطول ما حمل من عدة للمعارك.

وقد أكد الشاعر هذا المعنى، بإضافة صفات ونزع صفات، كقوله[٢]:

أعـاذل عـدتى بـزى ورمحـى . وكـل مقلـص سـلس القبـاد

أعــاذل إنمــا أفتــى شــبابى . إجابتى الصريخ إلى المنادى

فأضاف أن من بين أسباب فناء شبابه وقدوم شيبه، إجابته الدائمة لمنادى الحرب أخذا بثأر، ورفعا لعزة وكرامة.

وقد أكد مرة ثالثة على هذا المعنى، حين يقول[١]:

---

(١) الديوان ص ٦ .

(٢) السابق ص١١٠ .

أعــاذل إنمــا أفتــى شــبابى . ركــوبى فــى الصــريخ إلــى
مع الفتيان حتى كل جسمى . وأقرح عاتقى حمل النجاد
أعاذل عدتى بدنى ورمحى . وكل مقلص شكس القياد

فأسباب شيبه وذهاب شبابه، هى خروجه إلى منادى الحرب، حتى ضعف جسمه، وانحنى ظهره، وعدته هنا: بدنه، ورمحه، وفرسه الصعب الذى يلين أمام فروسيته.

ومن الأدوات المكررة أيضا، همزة الاستفهام، لما تحقق من التثبت بعد الشك والتردد، يقول الشاعر فى الغزل[٢]:

أمـن ليلـى تسـرى بعـد هـدء . خيـال هـاج للقلـب ادّكـارا؟

فما الذى أهاج ذكريات قلبه، وأحاسيسه ومشاعره، إنه لا يترك للمتلقى مجالا للتردد أو الشك، إنها ليلى محبوبته التى يفعل حبها بالشاعر الأفاعيل.

ويستخدم الشاعر الاستفهام بالهمزة للدلالة على فروسيته وشجاعته، وإجابته السريعة لكل من ينادى عليه، ليخلصه من حالته التى هو عليها، إلى حال من العزة والكرامة، يقول[٣]:

ألــم ترنــى إذا ضــمنى البلــد . سـمعت نـداء يصـدع القلـب يـا

فمن فارس غيره يستنجد به الضعفاء والمقهورون؟ من غير عمرو يلوذ به الناس فى وقت الشدائد؟

إنه هو لا غيره، ويتابع يقول:

أغثنــا فإنــا عصــبة مذحجيــة . نـناط علـى وفـر وليس لنـا وفـر
تكلفنا يا عمرو ما ليس عندنا . هـوازن فـانظر مـا الـذى فعـل

---

(١) الديوان ص ١١٢ .
(٢) الديوان ص ١١٤.
(٣) السابق ص ١١٩ .

فتأتى إجابته السريعة:

فقلت لخيلى انظرونى فإننى . سريع إليكم حتى ينصدع

ويؤكد الاستفهام على أن من صفات الفارس، وظهور فروسيته، فى معرفة إمكانات خصمه وعدوه، فليس الفارس الذى يلقى بنفسه إلى التهلكة، ادعاء للشجاعة، ولكن من سماته أن يعرف للخصوم مقدارهم فلا يهلك، يقول[1]:

أجاعلة أم الثوير خزاية . علىّ فرارى إذا القيت بنى

فالاستفهام إنكار أن تجعل عليه الخزى والعار، إذ فر من المعركة أمام بنى عبس، لأنها لم تعاين ما عاين، يتابع فيقول:

لقيت أبا شأس وشأسا وقيسا فجاشت من لقائهم نفسى

لقونا فضموا جانبينا بصادق من الطعن مثل النار فى الحطب

فماذا يفعل الشاعر إلا أن يخرج فعله على نحو ما يقول:

فأبت سليما لم تمزق عما . ولكنهم بالطعن قد خرقوا

وليس يعاب المرء من جبن . إذا عرفت منه الشجاعة

ومن الحروف المكررة "قد" للتحقيق والتأكيد، يقول[2]:

لو كان عباس هنالك حاضرا . لهوى وقد خضبت الجبين

ولقد صبحت بها عمارة . والبيض تعلو فوقه بالمنشر

ولقد تركت أبا تميم بعدما . أغض الحسام جبينه لم يقبر

لقد كان تكرار التوكيد مناسبا لحالة عباس، لغيابه عن المعركة، فقد أراد عمرو أن يعلمه بمصيره لو حضر، كما حدث لعمارة وأبى تميم، والسيوف تعلوهما، وهما مضرجان فى دمائهما.

---

(1) الديوان ص ١٢٨، ١٢٩.

(2) السابق ص ١٢٠.

٢ـ تكرار الضمير.

ويكرر الشاعر اسم الضمير "هم" مرات متتالية فى قصيدة يتحدث فيها عن مهارة وشجاعة وفروسية قومه فى ميدان المعركة، ذاكرا ما يفعلوه بأعدائهم من قتل وتشريد وإذلال، ولكن لماذا عدل الشاعر عن الاسم الصريح إلى الضمير؟ أليس من الأوفق أن يذكر الاسم الصريح ، ليكون دليلا على الحب والتلذذ بالذكر؟

فحين يكرر الشاعر اسم من يحب، سواء إمراة أو وطن، يكون الذكر لداعى التلذذ والتغنى باسميهما، ولكن الشاعر عدل عن تلك المزية لأخرى، حين ذكر الضمير بدلا عن الاسم الصريح، فداعى ذكر الضمير، ليدل على أنهم هم المعرفون، سواء ذكرهم باسمهم الصريح، أو بالضمير، فحين يقول: "هم" لا ينصرف الذهن إلا إليهم، ولا يتردد المتلقى فى الإشارة لهم، يقول[1]:

هـم قتلـوا عزيـزا يـوم لحـج . وعلقمة بـن سعد يـوم نجـد
وهم ساروا مع المأمور شهرا . إلـى تعشـار سيرا غيـر قصـد
وهـم قسـموا النسـاء بـذى . وهـم عركـوا الـذنائب عـرك
وهم وردوا المياة على تميم . بـألف مـذجج شـمط ومـرد
وهم تركوا بكنده موضحات . ومـا كـانوا هنـاك لناضـد
وهـم زائروا بنى أسد بحيش . مع العباب جيش غير وعد
وهـم تركـوا هـوزان إذ لقـوهم . وأسـلمهم رئيسـهم بجهـد
وهـم تركـوا ابـن كبشـة . وهـم شـغلوه عـن شـرب
وهـم أخـذوا بـذى المـروت . يقسم للحصين ولا بن هند
وهـم قتلوا بذات الجار قيسا . وأشـعث سلسـلوا فـى غيـر

(1) الديوان ص ٩٧ : ١٠١ .

وهـم سـحبوا علـى الـدهنا . يعيـدهم شـراحيل ويبـدى
وهـم تركـوا القبائـل مـن معـد . ضـبابا محجـرين بكـل حقـد
وكـم مـن ماجـد ملـك قتلنـا . وآخـر سـرقه غـرب قمـد

فانظر إلى ما فعلته قبيلة عمرو، فكأنها لم تترك قبيلة ولا فارسا من أعلامها، إلا أذاقوه ألوانا من المهانة وضروبا من الذل والقهر، فالإبادة بالقتل، ودفع الجزية، وسبى النساء، وذل بالليل وهم بالنهار.

٣ـ تكرار الجملة.

وقد تكون الجملة اسمية، وقد يكون تكرارها فى جملة فعلية .

أ- فمن تكرار الجملة الاسمية ، يقول عمرو[١]:

ونحـن هزمنـا جـيش صـعدة . ونحـن هزمنـا الجـيش يـوم

فتقديم ضمير الاختصاص، لتكون الجملة اسمية، حتى لا ينصرف الذهن إلى غير قوم الشاعر، فالتكرار بالجملة الاسمية، ليؤكد على أن قوم الشاعر هم الذين أوقعوا الهزيمة بقوم الملك بوار، أحد ملوك اليمن.

وإذا كان هنا يقدم الاختصاص، اعلاء لراية قومه، فإنه يقدمهم فى جملة اسمية ليؤكد أنهم وليس غيرهم من يعاتب، يقول[٢]:

فلـو أن قـومى أطـاعوا الرشـا . د لـم يبعـدونى ولـم أظلـم
ولكـن قـومى أطـاعوا الغـوا . ة حتـى تعكـظ أهـل الـدم

فقومه لم يسمعوا لإرشاده ونصحه، وسمعوا كلام الغواة الذين أضلوهم، حتى أن اجتمعت كلمة القبائل الذين لهم دم عند مذحج، وتجرأوا على المطالبة به.

ب- ومن تكرار الجملة الفعلية، يقول الشاعر منبها عدوه على جهله، وغبائه العسكرى[١].

---

(١) الديوان ص ١٢٢.

(٢) الديوان ص ١٦٥ .

تمنت مازن جهلا خلاطى . فذاقت مازن طعم الخلاط

أطلت فراطكم عاما فعاما . ودين المذحجى إلى إفراط

أطالت فراطكم حتى إذا ما . قتلت سراتكم كانت قطاط

فمن جهل قبيلة مازن، تمنيها ملاقاة المذحجى، عمرو بن معد يكرب، فأذاقها ما تتمنى من لقائه، فقد أطال إمهالهم، ولكن غبائهم أدى إلى مقتلهم على يده، فكان ذلك شفاء نفسه.

ومن مظاهر فروسيته، وفاؤه للعلاقات الإنسانية، وهنا تتمثل فى المصاهرة فهو يتجاوز بها عما يمكن أن يحدث من قتال وتدمير، إكراما لصهره، زوج أخته الأجدع بن مالك ، يقول[٢]:

لعمرك لولا أجدع الخير . لقدت إلى همدان جيشا

لقدت إلى همدان ألف طمرة . وألف طمر من كميت

فالتأكيد بالجملة الفعلية "لقد" يدل على شجاعة فروسية أخلاقية، فهو فارس الحروب والمعارك الأول، لكنه يتمالك شهوته فى إظهار فروسيته الحربية ، نظير صيانة الأخلاق الكريمة، بمحافظته على الوفاء لصهره، أجدع بن مالك من همدان.

---

(١) السابق ص ١٣٦.

(٢) الديوان ص ١٥٧ .

المبحث الثانى
اللغة التصويرية

قد يلجأ الشاعر إلى توظيف اللغة التصويرية، المفعمة بالطاقات الانفعالية، لينقل لنا تجربته الشعرية ذات الأبعاد الفروسية، متكئا على صوره التى تجعل المتلقى يتعايش مع تجربته، وينخرط معه فى أجوائه البطولية، وينقله إلى عوالمه الحماسية، بكل ما فيها من إثارة ذهنية، وفيض نفسى، مشحون بالتعالى والتسامى والتفاخر.

وقد تدل الحروف والانفعال على بعض الإيحاءات التى تعكس التصوير الانفعالى، سواء كان هذا التصوير جزئيا أم كليا.

ومن ألوان الصورة.

١ـ التشبيه:

وقد يلجأ الشاعر إلى التشبيه، لبيان مدى فروسيته، وفروسية قومه، ليدل على خبرته بأهم مظاهرها فى ميدان المعركة، وهى أدواتها، فيقول عن سيفه وسيوف قومه[١]:

وسلت سيوف الهند منا كأنها ∴ مخاريق نالتها أكف لواعب

فالمخاريق، لعبة يلعب بها الأطفال والصبيان على عهده وعصره، فحدثنى عن الشعور ينتاب الأطفال، وهم يمسكون ألعابهم يلعبون بها؟ ما الجو النفسى الذى يعطيه منظرهم وهم يتناولونها فيما بينهم؟

إن السيف بالنسبة لعمرو وقومه كاللعبة فى يد الأطفال، إنها تبعث السرور فى النفس، ولكنها تدل من جانب آخر على تناولها واستخدامها فى خفة وسرعة، إنها المهارة فى الاستخدام والحذف بمعرفة الإمكانات.

---

(١) الديوان ص ٦١.

ويوازن الشاعر بين أدواته وأدوات قومه فى ميدان المعركة، نفسها والأدوات فى يد عدوهم، يقول فى البيت السادس والأخير من المقطوعة السابقة:

ومنزلة فيها العوالى كأنها ∴ هشيم شجار كسرتها الحواطب

لقد أوضح البيت السابق الأثر الذى ترتب على مهارته ومهارة قومه، وما صنعت فى أسلحة أعدائهم، لقد حولت رماح العدو إلى ما يشبه الأشجار المكسرة.

ومن أدوات الحرب أيضا، وما تقوم به المعركة بعد الفارس وعتاده، تأتى أداة النقل، والكر والفر، وهى الفرس، الذى كانت العرب تقيم لولادته أفراحا كالمولود الذى تأمل أن يكون فارسا يركب هذا النتاج الجديد من الخيل.

وهذه الأدوات قد تكون عونا للشاعر، فيكون الفرس ايجابيا، وقد تكون ضده فتكون سلبا، يقول عمرو متحدثا عن سلبيتها، لأنها كانت مع أعدائه ضده"[1].

ولما رأيت الخيل زورا كأنها ∴ جـــداول زرع أرســـلت

فجاشه إلى النفس أول مرة ∴ ففـــرت علـــى مكروهـــا

فخيل الأعداء مقبلة عليه مائلة، وميلها يكون من وقع الطعن فيها، أو للطعن فى الآخرين، وهى مائلة ليطعن صاحبها الشاعر، وقد خلو أعنتها وأطلقوها، فهى كزرع أرسلت مياهها فامتدت.

ولا يظن بالشاعر الجبن والخوف والفرار، لأن نفسه جاشت أى فزعت، لأن ما ذكره عمرو بيان حال النفس، ونفس الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يدهمهما عند الوهلة الأولى، ثم يختلفان ، فالجبان يركب خوفه ويفر من الميدان، والشجاع يدفعها ويدفع عنها وسوستها، فتثبت، وهذا منه بيان لفروسبته وشجاعته.

ويستمر الشاعر فى بيان فروسيته، وسماتها، وأهم ما يميزها، يقول[2]:

ظللت كأنى للرماح درئية ∴ أقاتل عن أبناء جرم وفرت

---

(1) الديوان ص ٧١.

(2) الديوان ص ٨٢.

والبيت تشبيه لحالة الشاعر مع هؤلاء الذين يهجوهم وهم بنو جرم، حيث يشبه نفسه بالحلقة التى يصوب عليها الفرسان رماحهم، حتى يتعلموا الطعن، فقد جاءته الرماح من كل جانب بعد أن هرب بنو جرم وتركوه فى ميدان المعركة، فأى فارس هذا الذى يقاتل مع غير قومه، وقد فروا وليس هو منهم، غير أنه يقاتل عنهم، عصيبة وغضبا لهم.

وتظهر سمات فروسية عمرو من خلال مصاحبة أدواتها، فيلزم نفسه بسماتها، يقول[1]:

ذهب الذين أحبهم ∴ وبقيت مثل السيف فردا

فأن يكون الشاعر شبيها للسيف فى تفرده، فلا يجمع معه غيره فى غمده، فالشاعر كذلك لا يجتمع معه شبيهه أو مثيل فى ميدان المعركة، فقد بقى بعد أحبائه، لتفادى فى الأمور، ومضانه كالسيف.

ويحدثنا الشاعر عن صفات أدواته، وما هى عليه، يقول[2]:

ورمحى العنبرى تخال فيه ∴ سنانا مثل مقباس الزناد

وعجلزة يزن اللبد عنها ∴ أمر سراتها حلق الجياد

إذا ضربت سمعت لها أزيزا ∴ كوقع القطر فى الأدم الجلاد

فطول معاشرته لأدوات الحرب جعلته يعاين ما هى عليه، ويتفرس أحوالها، فتحسب سنان رمحه كمقياس الزناد الذى تشعل به النار، وأما خبرته بفرسه، فإذا ضربها سمع لوقع جريها على الأرض أزيزا كصوت المطرحين يقع على الأرض الصلبة.

ولحسن استخدام الشاعر لأدواته فى المعركة، نرى الأثر المترتب عليها فى مثل قوله[1]:

([1]) السابق ص ٨٢ .

([2]) السابق ص ١٠٨ .

هبلت لقد نسيت جلاد عمرو . وأنت كخامع تلج الوجارا

فالشاعر يدعو على خصمه ومناوئه بأن تفقده أمه، إذا نسى حسن استخدام عمرو لأدواته، وهى السيف، فحين يضربه يكون خصمه "كخامع" أى الضبع تلج الوجاز أى جحرها، إنه الفرار والجبل حتى لا يطاله السيف فيرديه قتيلا.

ومن الأثر المترتب أيضا، يقول عمرو فى تلك المعركة التى حالف فيها بنى عوف ضد بنى سليم، قوم العباس بن مرداس السلمى، الذى غاب عن المعركة، وقتل أخوه فيها[٢]:

فى فتية من قومه خضبت . سود اللحى من عاتك

لما وقعنا فى التنازل . مثل النعامة مخافة للأشقر

فالفتية من بنى سليم، دليل القوة والبراعة والشدة، ولكن ماذا إذا وقع النزال وحمى وطيس المعركة "خفخفت مثل النعام" صوتت خوفا أن يحصد رقابها سيف عمرو ، فيعلق بها الدم لكثرة نزوله.

ولبس الأثر المترتب على وقوع المعارك التى يخوضها عمرو قاصرا على البشر، وإنما المكان أيضا، يقول[٣]:

ونحن هزمنا جيش صعدة . ونحن هزمنا الجيش يوم

جوافل حتى ظل جند كأنه . من النفع شيخ عاصب

فالجند اسم جبل، فانظر إلى ما أصابه هو أيضا من جراء تلك المعركة بين مذحج وسليم، فقد شبهه الشاعر بما علاه من غبار متصاعد من أرجل الخيل، بالشيخ المعتم الذى عصب بخمار.

ويعود الشاعر مرة ثانية، ليبين أثر أدواته فى المعركة على عدوه، فيقول[١]:

---

(١) الديوان ص ١١٤.

(٢) السابق ص ١٢٠.

(٣) الديوان ص ١٢٢ .

لدسناكم بالخيل من كل جانب ∴ كما داس طباخ القدور الكرادسا

فالفعل هنا للخيل بعد السيف، فى صورة مفزعة، وأبعاد مرعبة، هى صورة مهولة للحرب، ومنظر تقشعر منه الأبدان، منظر تكسير الجماجم والعظام كما يفعل الطباخ حين يكسر عظام جماجم ما يطهوه، فالخيل تطىء جماجم عدوه حين يقع من أعلى ظهر فرسه على الأرض ثم يتابع يقول:

وتسمع للهندى فى البيض رنة ∴ كرنة أبكار زففن عرائسا

فالمفارقة فى التشبيه تحير العقل وتدهش، فهذا منظر جميل تضرب فيه الآلات الموسيقية وترن صوت أدواتها، حين تزف الفتيات الأبكار الجميلات عروسا مثلهن، وقد شبه الشاعر بهذا الصوت، صوت وقع السيف الهندى فى خوذة الفرسان من أعدائه حين يضرب بقوة ليصل إلى جمجمته.

ولا يفتأ الشاعر يحدثنا عن خبرته الحربية ومعرفته بأحوال وأسرار المعارك، فيقول فى معركة بينه وبين بنى عبس[٢]:

لقونا فضموا جانبينا بصادق ∴ من الطعن مثل النار فى الحطب اليبس

فالصورة توضح قوة وبأس الخصم، حين طوف جانبى جيش عمرو بالطعن والرمى، فأصبحوا كالحطب اليابس الذى تلتهمه النار فى سهولة، وتنتهى منه فى سرعة مهما كانت كثرته.

ولعل فى وصف إنصاف العدو ووصف شدته وقوته، دلاله على شدة قومه وأنهم لا ينازلون إلا الأبطال الفرسان الذين لا مثيل لهم، فلا بأس من تجنبهم فى هذا الوقت.

وأخيرا يجمع الشاعر أدواته، مصورا كل أداة بما تتمتع به فى ميدان المعركة، يقول[١]:

---

(١) السابق ص ١٢٦- ١٢٧ .

(٢) الديوان ص ١٢٨ .

أعـددت للحـرب فضـفافة . دلاصـا ثنـى علـى الـراهش
وأجـرد مطـردا كالرشـاء . وسـيف سـلامة ذى فـائش
وحسـاما تـراه كمثـل الغـدير . وعليـه كنمنمـة النـامش النـاقش
وذات عـداء لهـا أزمـل . برتهـا رمـاة بنـى وابـش
وكـل نخـيص فتيـق الغـرار . عـزوف علـى ظفـر الـرائش
وأجـرد سـاط كشـاه الأرا . ن ريـع فعـن علـى النـاجش

ولم تكن هذه الأدوات على جودتها لتأتى بآثارها، إذا لم يكن راكبها على شاكلها ومستخدمها يحسن استخدامها فى مهارة، يقول[٢]:

تمنـانى ليقلتنـى . وأنـت لـذاك معتمـده
فلـو لاقيـتم فرسـى . وفـوق سـراته أسـده
إذن للقيـتم شـثن الـ . بـراثن نابيـا كنـده

وتراه يخاطب ولده بقوله[٣]:

إذن ألـم تعلـم أن أبـا . ك ليـث فوقـه لبـده؟
شـديد الكـف فيمـا أد . ركـت أظفـاره ويـده

ويؤكد على هذا التشبيه بكونه أسدا يملك القدرة على التصرف فى أداوت الحرب والتحكم فيها، وحسن إعدادها وتوجيهها، يقول[٤]:

فلـولا قيتنـى للقيـت ليثـا . هصـورا ذا ظبـا وشـبا حـداد

---

(١) السابق ص ١٣٣ .
(٢) الديوان ص ٩٠.
(٣) السابق ص ٩١ .
(٤) السابق ص ٦٧ .

٢ـ الاستعارة:

وإذا كانت الغلبة فى الصورة للتشبيه والكناية، فهى الأدوات التى يحتاجها الشاعر لتقريب الصورة فى ذهن المتلقى، إما عن طريق مباشر بالتشبيه، أو غير مباشر بالكناية، فقد جاءت بعض الصور البديعية، لتؤكد على المعانى السابقة التى أكدتها التشبيه والكناية.

يقول عمرو[١]:

وليس يعاب المرء من جبن . إذا عرفت منه الشجاعة

فلايفتأ الشاعر يحدثنا عن خبرته ودرايته بأحوال أمور المعركة، ولا يزال يؤكد على شجاعته وفروسيته بالتضاد "جبن- شجاعة" وأنه إذا فر يوم يحسن الفرار، هربا من الموت، فلا يعاب أويتهم بالجبن، وهنا تظهر فروسيته فى معرفة إمكانات خصمه وعدوه، فليس هو الذى يلقى نفسه إلى التهلكة، ادعاء للشجاعة، ولكن من سمات الفروسية أن تعرف للخصوم مقدارهم، فلا تهلك.

ومن الفروسية أن ينبه الخصم خصمه لما يحدث قبل أن ينزل أرض المعركة، فيقول عمرو منبها ومبينا ومنفرا من الأثر المترتب عليها، واضعا صورة مجسد لما يحدث بها، فتتأثر لها نفس الإنسان، فيأووب إلى رشده، ويحكم عقله، فيرضى بالسلم ويعقد الأحلاف، ويكتب العهود[٢]:

الحرب أول ما تكون فتية . تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا استعرت وشب . عادت عجوز غير ذات

شمطاء جزت رأسها . مكروهة للشم والتقبيل

فالشاعر يشبه الحرب بالمرأة الفاتنة التى تجذب إليها الرجال "الحرب أول ما تكون فتية" يتصارعون عليها، يبرزون قوتهم، وكل يرى فى نفسه فارسها، ففيها

---

(١) الديوان ص ١٢٩ .

(٢) السابق ص١٥٤ - ١٥٥ .

تتفاعل احاسيس، وتتفجر طاقات كامنة فى الإنسان تدفعه –جهلا- إلى أن يرمى بنفسه فى أتونها، طلبا لأن يكون موضع الحديث والإعجاب.

تم يعدد لها صفات متضادة يحذر من مغبة الاشتراك فيها "استعرت، وشب ضرامها- عاد عجوز منها"، وهنا تبدو الجميلة التى تزينت فى أول الأمر على حقيقتها تشبه العجوز الشمطاء، ذات صورة منكرة تعبر عنها الصور "جزت رأسها، مكروهة للشم والتقبيل" فالجميع ينفر منها ويكره الاقتراب، لدمامتها وينكر أن يكون أول من أشعل لهيبها أو شرارتها الأولى.

ويؤدى الطباق دورا فى بيان سمات عمرو الفارس فى أخلاقه، يقول[1]:

يبـــرون عظمـــى وهمـــى جبـــر . شـتان مـا بيننـا فـى كـل مـا

أهـوى بقـاءهم جهـدى وأكثـر مـا . يهـوون أن اغتـدى فـى هـزة

فغايته فى أخلاقه، الحفاظ على سلامة قومه أو الآخرين (أهوى بقائهم)، وهم ليسوا كذلك، ويفعل أقصى غايته، ليكونوا أحياء، بينما هم يتمنون رؤيته مدفونا فى قبر.

فقد دل الطباق على اختلاف شخصية الشاعر وسموها عن الآخرين، ليرتقى بأخلاقه إلى الرفعة وعلو الشأن.

٣ـ الكناية:

وتتعاون الصورة الكنائية على توضيح سمات الفارس وصلته بأدواته، وصفاتها التى تميزها فى يد الفارس عن غيره، وكيف عمد إلى اختيار الأدوات التى تبرزها وتساعد على إخراجها.

يقول الشاعر[2]:

---

(1) الديوان ص ٦٠ .

(2) الديوان ص ٦٧ .

يختب بى العطاف حول . ليست عدواتنا كبرق الخلب

واستيقنوا منا بوقع صادق . هربوا وليس أوان ساعة

فالشاعر يوضح بالكناية عن عدم وفاء عدوه بما قطع على نفسه قبل المعركة "ليست عداوتنا كبرق الخلب"، فيقال لمن يعد ولا ينجز وعده "أنت كبرق الخلب"، وأما الشاعر فيعبر عن وفائه بما وعدهم من قتل وتدمير.

ثم يوضح الشاعر أدواته التى يصحبها فى ميدان المعركة، يحقق ما وعد، وينجز ما بدأ به المعركة، يقول عن سيوفه وسيوف قومه[1]:

ومرد على جرد شهدت . قبيل طلوع الشمس أو حين

صحبتهم بيضاء يبرق بيضها . إذا نظرت فيها العيون

فالفرس فى البيت الأول قصير الشعر، كناية عن العتق والكرم، والسيوف "بيضاء يبرق" كناية عن حدتها وجاهزيتها دائما للمعارك.

ويحدثنا عن براعته فى ميدان المعركة، وكيف يحتال ويمكر حتى يحقق النصر على الأعداء ، يقول[2]:

وقد كنت إذا ما الحـ . ـى يوما كرهوا صلحى

ألف الخيل بالخيل . وأكفى النبح بالنبح

فإذا لم تنفع محاولات الشاعر فى الصلح، اتقاء الحرب وويلاتها، فإن تخطيط الشاعر وإدارته للمعركة، تكمن فى التعبير بالكناية "ألف الخيل بالخيل" كناية عن اختلاطهما فى ميدان المعركة، "وأكفى النبح بالنبح" باشتباك كل جندى من جيشه مع جيش العدو .

---

(1) السابق ص ٧٠.

(2) الديوان ص٧٨.

ويصور لنا موقفا آخر فى ميدان المعركة، حين هجم الأعداء فذعرت النساء، وولت هاربات، وكشفت وجهها لما دخلها من الرعب، يقول[1]

لمـــا رأيـــت نســـاءنا ∴ يفحصـــن بـــالمعزاء شـــدا

وبـــدت لمـــيس كأنهـــا ∴ بـــدر الســـماء إذا تبـــدى

نازلـــت كبشـــهم ولـــم ∴ أر مـــن نـــزال الكـــبش بـــدا

فقد وقف الشاعر يعاين أثر هجوم الأعداء على طائفة من بنى قومه، وهى طائفة النساء، من تعير العرب بأسرها وإهانتها، ما أصابها فمن شدة الخوف والرعب راحت تجرى فى الأرض ذات الحجارة الصلبة التى تركت أثرا فى باطن قدمها ، إلى بروز البعض الأخريات كاشفة عن وجهها سافرة، إما للتشبه بالايماء حتى تأمن السبى، أو لما دخلها من الرعب وسرعة العدو، فسقط عنها ما تستر وجهها ورأسها.

فما كان من الشاعر إلا أن أراد وقف هذا الزحف، وزعزعة ثقة جيش الأعداء فى نفسه، فهجم على رئيسهم "مازلت كبشهم" حيث شبه سيدهم بالكبش وفيه إهانة للعدو ليكونوا قطيعا من الخرفان، أما هو فمن فوارس قبيلته الشجعان، ولم يجد غير ذلك مخرجا، لبعث الرعب فى نفوسهم، وبعث الثبات والطمأنينة فى قلوب قومه وفيه كناية عن القوة والبسالة. ولننظر إلى الشاعر حين يقول[2]:

وخيل قد دلفت لها بخيـل ∴ تحية بينهم ضرب وجيع

ونجد أن الشاعر شبه الخيل بإنسان يلقى التحية على خيل عدوه، لتبدو تحتيه تهكمية (ضرب وجيع).

---

(1) السابق ص ٨٦ .

(2) الديوان ص ١٤٩ .

ثم انظر إلى الشاعر يوضح لك حقيقة عدوه، حين يلقاه فى ميدان المعركة يقول[1]:

ولو لاقيتنى ومعى سلاحى . تكشف شحم قلبك عن سواد

فإذا أشهر سيفه حين يلاقى خصمه، فما الحالة التى يكون عليها الخصم؟ لقد غاص الشاعر إلى أعماق نفسه، وكشف لنا خبيئته، فالكناية فى قوله "تكشف شحم قلبك عن سواد" تعنى الغل والحقد الدفين، فهو يدرك أنه لن يستطيع المواجهة ومن ثم تغيم نفسه.

ولكن من أين جاء الشاعر بتلك البراعة والمهارة، حتى أن عدوه يدرك خسارته حتى قبل أن تبدأ المعركة.

يقول الشاعر عن الأسباب التى تنمى موهبته فى الحروب وفروسيته[2]:

أعاذل إنما أفنى شبانى . ركوبى فى الصريخ إلى

مع الفتيان حتى كل جسمى . وأقرح عاتقى حمل النجاد

إن الشاعر لم يعتمد على موهبته التى حباه الله، وإنما غذاها ونماها بكثرة اشتراكه فى المعارك، وحمله الدائم للسلاح، حتى أنه "قرح عاتقه" كناية عن كثرة حمله، فما إن يخرج من معركة حتى يدخل فى أخرى.

ومن ثم ونتيجة خبرته الحربية، تراه يطبق عمليا ما تلقاه نظريا، يقول[3]:

ولقد أجمع رجلى بها . حذر الموت وإنى لغرور

ولقد أعطفها كارهة . حين للنفس من الموت

كل ما ذلك منى خلق . وبكل أنا فى الروع جدير

---

(1) السابق ص ١٠٧ .

(2) الديوان ص١١٢.

(3) السابق ص١١٧ .

فبماذا كان فى الحرب خليق وجدير؟ إن الكناية (حذر الموت- أعطفها كارهة) فى الأبيات تدل على فراسة الشاعر وخبرته بالمعارك فهو يفر حين لا ينجى من الموت إلا الفرار.

ويتحدث الشاعر عن أدواته فى المعركة، مبينا ما تلاقيه، وقد اعتادت عليه

يقول[1]:

ومهر كريمة فى صفحيته . نوافذ بالأسنة والسهام

ووقع المشرفى بحاجبيه . وجبهته وما تحت الحزام

أقدمه ويحميه عبوس . على أكناده كره اللمام

فالكناية تدل على مدى ما يلقى الفرس فى المعركة من طعنات فى أماكن متعددة، ولكنه مازال يحمل فارسه بتلك الحالة "فيحميه عبوس على أكناده" كناية عن إدخاله بعبوسه الرعب فى قلب أعدائه.

(1) الديوان ص ١٦٢.

المبحث الثالث
اللغة الدموية لغة الصراع والأحداث

تدور فى شعر عمرو الزيبدى لغة دموية، ذات دلالات تصاحب الجو الفروسى، وتتناغم مع شخصية الشاعر البطولية، فتتوابث عنده مشاهد دامية، ومواقف حامية، وتتردد أفعال ومصادر ذات شحنات انفعالية، وطاقات صراعية، تتآزر فى تجلية الأبعاد النفسية العميقة للشاعر وهو فى ساحة القتال.

وإذا تجهنا إلى دراسة تلك اللغة، فإننا ندرسها من خلال ترتيب أحداث المعركة، ممثلا فيما يلى :

١- ألفاظ الإعداد للمعركة.

٢- مهارات المعركة وفنونها (الطعن، الضرب، سمات الأقران).

٣- نتيجتها.

١- ألفاظ الإعداد للمعركة:

من خلال تتبع قصائد عمرو بن معد يكرب، نجد للفعل "أعد" وما فى معناه، حضورا بارزا، فالفارس لا يكون فارسا حقا، إذا لم يكن على أهبة الاستعداد لحدوث أى طارىء أو عارض، ولوقوع أى كارثة، فالاستعداد الجيد يخلق فارسا مغوارا وبطلا مقداما خوض غمار الحروب ديدنه، واقتحام المجاهل والصعوبات حياته، ألف ملامح الحروب، وألفته، وتعلق بساحتها، وأخذ على عاتقه الدفاع المستميت عن أهله ووطنه وشرفه، انظر إلى الشاعر يقول[1]:

وأعـددت للحـرب فضفاضـة ... كـــأن مطاويهـــا مبـــرد

فعدة الفارس وعتاده من شخصيته، وأهمها الدرع الواسعة التى يتقى بها ضربات العدو، وكلما كانت جيدة الصنع، كانت سببا من أسباب الدفاع عن حياة الشاعر.

---

(١) الديوان ص ٨٤.

ويؤكد على أهمية الدرع ببيان صفات أخرى لها، يقول[1]:

وأعددت للحرب فضفاضة . دلاصا تثنى على الراهش
وأجرد مطردا كالرشاء . وسيف سلامة ذى فائش
حساما تراه كمثل الغدير . عليه كنمنمة الناقش
وذات عداد لها أزمل . بزتها رماة بنى وإبش
وكل نحيص فتيق الغرار . عزوف على ظفر الرائش
وأجرد ساط كشاة الارا . ن ريع فعن على الناجش

فالدرع هنا لينة، براقة، ملساء، تعانق الجسد بطريقة لا تمنع كل عضو عن جسم الفارس من القيام بمهمته خير قيام، وقد أضاف الشاعر هنا للدرع أدواته فى الحرب مثل، الرمح الطويل، والقوس التى لها صوت ورنين، والسهم حاد الشفرتين له شعبتان، كأن أحدهما فنقت من الأخرى، والفرس الذى يحمله مدججا بكل هذه الأنواع من السلاح.

إن الشاعر يظهر حسن استعداده للمعركة بحمل كل أدوات الحرب التى يحتاج إلى كل نوع على حسب مجريات المعركة.

وأحيانا يقدم الشاعر الأدوات على ملابس الحرب ، مما يعنى أنها متلازمة متعاونة لا يتقدم فيها شيء عن الآخر، فلها كوحدة واحدة أهميتها فى إبراز موهبته العسكرية، والابقاء على حياته فى الميدان[2]:

أعددت للحدثان مطردا . لدى المهزة غير ذى وصم
ومفاضة كالنهى محكمة . من صنع داود أبى سلمى

فالمطرد هو الرمح المستقيم اللين، والمفاضة: الدرع الواسعة.

---

(1) الديوان ص ١٣٣.

(2) الديوان ص ١٦٤.

على أن الاستعداد للمعركة يأتى فى صورة المعنى، وليس بلفظ الاعداد كالسابق، فالألفاظ والمعانى تعطى كلها معنى الاستعداد والتجهيز للحرب، فترى الشاعر يقول[1]:

فلما هبطنا بطن رنية بالقنا . أرن سحاب رعده متجاوب
وسلت سيوف الهند منا كأنها . مخاريق نالتها أكف لواعب
بها نتشافى فى الغل فى ذات . وتزهو بأيدينا سيوف
مشهرة ألوانها حميرية . ترانا بها نسعى إذا ما

فحين هبط الجيش بطن رنية، مكان الحرب والمعركة "هبطنا" بصيغة الجمع ومعهم الشاعر، فالفخر قبلى، بدأ المحاربون الإعداد للمعركة، فجهزوا رماحهم، ومعها علت الصيحات من جيش يشبه السحاب لكثرة سواده، لإدخال الرعب والفزع، ثم بدأوا بإعداد باقى الأسلحة من سيوف فى أيديهم، كلعبة فى يد الأطفال، حادة وقاطعة، تشفى نفوسهم بإراقة دماء عدوهم.

ويؤكد المعنى السابق بصيغ وألفاظ مختلفة، يقول[2]:

أعددت للحدثان سا . بغة وعداء علندى
نهدا وذا شطب يقـ . ـد البيض والأبدان قدا
وعلمت أنى يوم ذا . ك منازل كعبا ونهدا
قوم إذا لبسوا الحديـ . ـد تنمروا حلفا وقدا
كل امرىء يجرى إلى . يوم الهياج بما استعدا

فإذا كان الشاعر يعد عدته ويتأهب للمعركة بجميع ما يلزمها من أدوات وملابس، فإنه لم يغفل أن يحدثنا عن استعداد العدو، فكأنه يشعرنا أنه لم يلاق

(1) السابق ص ٦١.
(2) الديوان ص ٨٠ .

قوما غفلا، أو هاجمهم على حين غرة، بل استعدوا مثلهم، فإذا انتصر عليهم كانت الفروسية والشجاعة .

٢- مهارات المعركة وفنونها:

فإذا أحسن الفريقان الإعداد، وبدأت المعركة ، وحمى وطيسها، هنا يظهر كل فارس مهارته، ويحاول أن يكون علم المعركة وحده، يثارك إليه، ويلجأ إليه ويستغاث به، ثم يشاد به فى تحقيق النصر على العدو.

ومن الأفعال والمصادر ذات الإيحاءات الدموية، والمشاهد الصراعية التى ظهرت عند الشاعر، وتعكس طول مراسه للقتال، وطول باعه فى الحروب، ومنازلة الأقران والأبطال، الفعل "قتل" بمصادره المتعددة وأزمانه المختلفة، كما تكررت عنده أفعال الطعن والضرب، وهى توحى بالطاقة الحماسية للغة "التى ندركها فى مشاكلة التعبير للانفعال لفظا وايقاعا وايحاء"[١].

والملاحظ أن فعل "القتل" اشتركت فيه نزعتان: الفردية، حين يفخر الشاعر بنفسه، ويباهى بفروسيته، وقتله وحده للأعداء، وجماعية لقبيلته وهو معها، فهى لا تقل عنه فروسية ولا شجاعة، ولا حصد لأرواح الأبطال، و تحقيق الانتصارات.

يقول عمرو[٢]:

ظللت كأنى للرماح دريئة . أقاتل عن أبناء جرم وفرت

فلماذا قتالك يا عمرو عن الآخرين؟ هل لاظهار شجاعتك وفروسيتك؟ هل كنت تأخذ مالا على ذلك؟

إن فعل الشاعر لا يدل على تلك التساؤلات التى قد تثار فى الذهن عند معرفة أنه يدافع عن جرم ويقاتل عنها فى ميدان المعركة، وقد هربت، بينما بقى منتصبا فى

(١) مقدمة فى دراسة الأدب الإسلامى د/ مصطفى عليان – ط دار المنارة – جدة ص ١٠٨.

(٢) الديوان ص ٧٣.

وجوه الأعداء والطعن يأتيه من كل جانب، فلماذا ؟ إنه يفعل ذلك عصية لهم، وغضبا لهم.

ويحدثنا الشاعر عن قتلاه فى ميدان الحرب، ومنازلهم، ودرجات فروسيتهم، يقول[1]:

فلـم تقتـل شـرارهم ولكـن . قتلنـــا الصـــالحين ذوى

قتلنـا مطعـم الأضـياف مـنهم . وأصحاب الكريهة والصياح

فالأشرار فى رؤية الشاعر ومعتقده من لا يحملون سلاحا فى الحرب، ومن ثم فلا حاجة له فى قتالهم، وإنما يقتل المدججين بالسلاح، لتظهر شجاعته وقوته، كما يقتل السادة الكرام، مطعمى الضيف، وفرسان الحرب والغارات.

ويستمر الشاعر فى بيان سمات وصفات من يلاقيهم أثناء المعركة، فيقول[2]:

وكـم مـن ماجـد ملـك قتلنـا . وآخـر سـوقة غـرب قمـد

"فكم" تكثرية، فكم يعد هؤلاء الملوك السادة الأمجاد، والسوقة الشباب الشديدى الغلظة، الذين قتلهم الشاعر وقومه.

وفى قتال الشاعر يأبى القتل غدرا، فتراه يعنف ابن اخته، قيس بن المكشوح، لغدره بالأبناء، وقتله داذويه" غدرا وغيلة، بعد أن دعاه إلى منزله، فسقاه الخمر ثم قتله، يقول عمرو[3]:

سبى الأطفال واجتز النواصى . من الأبطال وانتسف الديارا

فلـم يقتلـه مستسـلما مضـيقا . ولكـن بعـدما شـرب العقـارا

---

(1) السابق ص ٧٧ .

(2) الديوان ص ١٠١ .

(3) السابق ص ١١٦.

ويظهر لنا عمرو سماته وأخلاقه الفارسة مع من يدعى مساندته ومعاونته فى المعركة وهو لم يفعل، وبالرغم من ذلك يريد أن يعترف له بتفرده على أن يقاسمه ما فاز به وحصل عليه، يقول[1]:

تمنـــائى ليلقـــانى أبـــى . وددت وأينمـا منـى ودادى

ولـولا قيتنـى ومعـى سـلاحى . تكشـف شـحم قلبـك عـن

أريـد حبـاءه ويريـد قتلـى . عذيرك من خليلك من مراد

فقد تمنى "أبى" أن يلاقى "عمرا" خاليا، حتى يبلغ ما فى نفسه منه، بينما ود عمرو أن يلاقيه، ولكن أين ما تمناه منه؟ لأنه يريد حباءه ونفعه مع تمنيه موته وقتله فمن يعذر الشاعر منه؟

ولكن ليس ديدن الشاعر قتل كل من يلاقى فى ميدان المعركة، فأحيانا يتجاوز القتل إلى السبى، يقول[2]:

وأبـت بأسـرى لـم يكـن بـين . وبـين طعـانى اليـوم مـا دونـه

فعبرت الكناية "بالفتر" عن قرب المسافة، فالفتر هو ما بين طرفى السبابة والابهام، إذا فتحتهما، فكم كان كل منهما حريصا على ذهاب روح الآخر، لكن مع اختلاف المنزع، فالشاعر يريد القتل بالمواجهة، ثم استقر فى النهاية على سببه دون قتله.

وحين دخل الشاعر الإسلام، واشترك فى معاركه وغزواته، وهذه معركة القادسية، فقال هذه الأبيات، وقد حرم الزيادة فى العطاء بعد توزيع الغنائم، لأنه لم يكن من حملة القرآن[3]:

إذا قتلنـا ولا يبكـى لنـا أحـد . قالـــت قـــريش ألا تلـــك

---

(1) السابق ص١٠٦ .

(2) الديوان ص ١٠٦ .

(3) السابق ص ١١٦ .

ونحـــن بالصـــف إذ تـــدمى ∴ نعطـى السـوية ممـا يخلـص

نعطى السوية من طعن له نفذ ∴ ولا سـوية إذ نعطـى الـدنانير

فإذا قتل الشاعر ومن على شاكلته، فهو القضاء والقدر فى رأى قريش، ثم تأتى الموازنة من الشاعر بين موقفين، ليثبت من ورائهما ما يريد ويتمنى، ففى المعركة يكون العطاء من القتلى على حسب ما يحصد السيف من رقاب، ولا أحد يفوق عمرا، وحتى إذا تساوى مع غيره فى عدد القتلى من معسكر الشرك، فإذا حل توزيع الغنائم فلا مساواة.

أ- الطعن.

ويكثر فى شعر الشاعر فعل "الطعن" الذى يوحى بالمواجهة، والشدة فى المبارزة، والهم بالطعن وازهاق الروح، وهو لفظ يوحى بأن الغلبة للشاعر، وكم من أبطال طاعنهم، وكم من فرسان قتلهم؟

يقول[1]:

علام تقول الرمح يثقل عاتقى ∴ إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت؟

فما إن يحمل الشاعر السلاح حتى يبادر إلى الحرب والطعن والقتال، ولذلك فهو ينكر متعجبا: بأى حجة أحمل السلاح، إذا لم أبل فى الحرب ولم استعمله فى وقته؟

والشاعر لا يلقى العدو بغتة، ولا على حين غرة، بل الخصم المستعد للحرب والنزال والطعن، يقول[2]:

فدعا فسومها وأيقن أنه ∴ ولا شك يوم تسايف وطعان

فالشاعر يحدثنا عن الأشعث الكندى، وقد استعد للإغارة والحرب على قوم عمرو، فجاء بأسلحته وخيله وعتاده، لأنه لا شك يوم طعان.

---

(1) الديوان ص ٧٢ .

(2) السابق ص ١٧٢.

ومن فروسية عمرو أنه لا يبخس نظيره وخصمه فى الميدان حقه، بإظهار فروسيته، وبيان مهارته الحربية، يقول[1]:

لقونا فضموا جانبينا بصادق ∴ من الطعن مثل النار فى الحطب اليبس

فكم تقدر شجاعة الشاعر وفروسيته قومه، حين يحاصرهم العدو من الجانبين، وينال عليهم طعنا، يأخذ من أجسادهم، ويأكل من أعضائهم، كما تأكل النار الحطب الجاف وتلتهمه فى سرعة؟

وإذا ذهبنا نستعرض بعضا من سمات الشاعر فى ميدان المعركة، تراه يدخلنا إلى خبيئته، ويعرفنا عن داخله من موقفه من الحرب، يقول[2]:

لقد علم الحماة الشم أنى ∴ أهش إذا دعيت إلى الطعان

فكم يسعد قلب الشاعر وتنتشى روحه، ويكون فى غاية السعادة إذا دعاه أحد خصومه إلى المبارزة والطعن فى ميدان المعركة، فهذا ملعبه المفضل ومكانه المحبب إلى نفسه، وعمله الذى يتقنه ويتفنن فيه.

ومن الفرح بالطعان إلى التباهى بقضاء الدين الذى يلزم به نفسه فى ميدان المعركة، يقول[3]:

إذا ما قلت : إن على دينا ∴ بطعنة فارس قضيت دينى

فإذا حكم على نفسه بطعن فارس ونكره "للتعظيم" والإشادة بشجاعته وفروسيته، أوجب على نفسه القضاء، بتحقيق مانوى عليه، فأوفى نذره.

أما أن يفاخر على سعد بن أبى وقاص يوم القادسية، بمنافحته الأعداء، حين قلل له العطاء، لأنه لم يكن من حملة القرآن، يقول[4]:

---

(1) الديوان ص ١٢٨.

(2) السابق ص ١٧٦ .

(3) السابق ص ١٨٠.

(4) الديوان ص١١٥ .

أطاعن دونك الأعداء شرزا ∴ وأغشى البيض والأسل الجرارا

فهل هذا خروج على أميره وقائده الذى وجبت عليه طاعته، كما كان يأمر الرسول ﷺ، فهو ضعف فى جانب عقدته، بينما هو فى جانب آخر يباهى بفروسيته وشجاعته قوته؟

بـ الضرب :

والضرب من أفعال المعركة والحرب، حين يلتقى الفريقان تكون المبارزة والطعن، والضرب، ليقضى أحد الفارسين على الآخر.

ويحدثنا الشاعر عن سمات وصفات الطعن التى عليها المواجهة فى الميدان، فيقول عنها[1]:

فهوى لقطريه بأفحش ضربة ∴ من كف رئبال العريش غضنفر

فأن يهوى الخصم على أحد جانبيه، فكم تقدر الضربة التى نالته من سيف عمرو؟ إنها "أفحش ضربة" والفحش هو التجاوز فى الفاحشة، وهى الأمور المكروهة، فكم يكره الخصم ضربة الشاعر، الذى يشبه كفه الأسد فى الميدان، فيهوى بضربته على فريسته، فتخر صريعة.

إن الشاعر ينوع فى ضرباته على حسب قوة كل من يلاقيه، وما يناسبه من طعن، انظر إليه يقول فى سمة طعنه عند منازلة قرن آخر[2]:

بطعن كالحريق إذا التقينا ∴ وضرب المشرفية فى القطاط

فماذا يبغى عمرو من وصف طعنه بالحريق؟ هل الإيلام الشديد قبل الموت؟ هل عموم وشمول القوم إذا ألقوا فى النار فلا مهرب ولا منجى؟

وتفارق تحية الناس فى السلم، تحية الخصوم فى ميدان المعركة، فإذا كانت فى السلم ، المودة والأمان، فانظر إليها فى الحرب على لسان الشاعر، يقول[1]:

---

(1) السابق ص ١٢١.

(2) الديوان ص ١٣٧.

وخيل قد دلفت لها بخيل ∴ تحية بينهم ضرب وجيع

فالتحية فى ميدان الحرب هى الضرب، ولكنه الموجع، الذى يؤدى إلى الألم، وإزهاق النفس والروح.

ولكن ما الذى يدفع الشاعر إلى هذا الضرب الموجع؟ إنه الصفة التى يكون عليها خصمه فى الحرب، يقول عنها[٢]:

الضاربين بكل أبيض محذم ∴ والطاعنين مجامع الأضفان

فضربه بالسيف الأبيض القاطع وطعنه به، إنما "المجامع الأضفان" كناية عن القلب الذى يحمل الحقد والضغينة على فروسية الشاعر ومهارته، فيكون ضربه بهذه الشدة والوجع ليريحه من آلام قلبه.

وهذا عمرو وقد حضر الناس فى معركة القادسية يقاتلون، فرماه رجل من العجم بنشابة وقعت فى كتفه، وكان عليه درع حصينة، فلم تنفذ، وحمل على العلج، فعانقه فسقطا على الأرض، فقتله عمرو، ورجع بسلبه وهو يقول[٣]:

أنا أبو ثور وسيفى ذا النون

أضربهم ضرب غلام مجنون

بال زبيد أنهم يموتون

فحين وقعت النشابة ولم تنفذ، هاج الشاعر على خصمه، وأخذ يضرب فيه ضرب غلام مجنون، فالغلام يعنى الشاب والقوة والفتوة، ولكنه مجنون، بهذه السمة التى تعنى عدم النقل وعدم السيطرة عليه، فانظر كيف تكون ضربات لا يسيطر فيها المرء على قواه العقلية؟

ج- سمات الأقران.

---

(١) السابق ص ١٤٩ .

(٢) السابق ص ١٧٤ .

(٣) الديوان ص ١٨٦ .

إن من أكثر المواطن التى تتجلى فيها أثر الفروسية فى شعر عمرو الزبيدى، لغته الشعرية التى تبرز فيها أبعاد معنوية، توحى بالتعشق للقوة، والتفاخر، والتسامى، والتغنى بالشجاعة، ومقارعة الأقران، وصراع الأبطال، ومن ذلك تكرار كلمة؛ البطل أو الفارس أو الفوارس أو القرن عند اللقاء، فهو بطل لا يواجه إلا أقرانًا وأبطالاً مثله.

يقول الشاعر[1]:

لمـــا رأيـــت نســـاءنا ∴ يفحصـن بـالمعزاء شـدا

وبـــدت لمـــيس كأنهـــا ∴ بـــدر الســـما إذا تبـــدى

وبـــدت محاســـنها التـــى ∴ تخفى وكـان الأمـر جـدا

نازلـــت كبشـــهم ولـــم ∴ أرمـن نـزال الكـبش بـدا

فما الذى جعله يختار كبش الجيش؟ لماذا اتجه إلى رئيسها؟ أما كان له أن يختار فارسا من الفرسان مثيلا وشبيها؟ إنه من أجل الحرص على المرأة وصيانتها حتى لا تقع فى الأسر، فكان رئيس الكتيبة ليبث الفزع فى قلوب باقى أفراد الجيش.

ولا يذهب إلى المعركة ويشارك فيها إلا فرسانا أشداء، وفى ذلك إشارة من طرف خفى إلى قوته، فإذا انتصر عليهم، فكم تقدر شجاعته ، يقول[2]:

هنالك بهمة الفرسان يلقى ∴ وأصحاب الحفاظ من كل جد

فبهمة الفرسان، هو الفارس الشجاع الذى لا يدرى من أن يؤتى، من شدة بأسه.

ويؤكد الشاعر المعنى السابق فى أنه لا يلقى إلا هؤلاء الفرسان الذين لهم هذه السمات، وهذا الخَلقَ العظيم فى هيئة أجسادهم[3]:

---

(1) السابق ص ٨١ .

(2) الديوان ص ٩٧.

(3) السابق ص ١٦٢.

هنالك لو لقيت لقيت قرنا ∴ وبهمة معشر غير الكهام

فالبهمة كما سبق هو الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى، وقد أشار الشاعر إلى أنها سماته نفسها بقوله "لقيت قرنا".

وبالرغم من تلك السمات، وهذه الصفات التى عليها قرنه، انظر إلى الشاعر وما فعل به فى المعركة[1]:

وقرن قد تركت لدى مَكَرٍّ ∴ عليه سبائب كالأرجوان

فقرينه "مكر" هارب من الميدان أمام من هو أقوى وأشجع وأبرع فى الضرب والطعن "عليه سبائب كالأرجوان" فقد أصبح جسمه من وقع الطعن والضرب كالشقة الرقيقة من الثياب المصبوغة بدم أحمر شديد الحمرة.

ويرشدنا الشاعر إلى أن ما يفعل فى ميدان المعركة، كى يفخر بما يفعل أمام محبوبة وقريناتها، يقول[2]:

قد علمت سلمى وجارتها ∴ ما قطر الفارس إلا أنا

فمن الذى يطرح الفارس على أحد جانبيه، إما صريعا، أو جريحا، غير عمرو، إذن فلتهنأ سلمى بحبيبها عمرو، وتفخر بذلك على جارتها.

ويؤكد فى العصر الإسلامى على صيانة روح النبى ﷺ فى الحروب، وفدائه بنفسه، ويدفع عنه الأقران، يقول[3]:

لوقيت النبى بالنفس منى ∴ ولعانفت دونه الأقرانا

ففداؤه النبى ﷺ بنفسه يكون بمعانقة الأبطال فى الميدان، فكأنه يحب لقاء العدو القرين فى الفروسية والشجاعة، حتى لو أزهقت روحه فى سبيل فداء الرسول ﷺ.

ـ ألفاظ المهارات الحربية فى ميدان المعركة:

---

(1) الديوان ص ١٧٦.

(2) السابق ص ١٦٧ .

(3) السابق ص ١٦٩ .

وقد تتضمن لغة الشاعر أفعالا وعبارات تشف عن صراعات ومواقف دموية، توحى بالعشق للقوة، يغذيه رافد فروسى تنبض بحس التعالى والتسامى على الخصوم والأبطال، فيسوق عددا من المترادفات تدور فى هذا الحقل.

واختلاف التعبير باختلاف المترادفات، يدل على قدرة الشاعر وامتلاكه، ناصية الكلم، كما تدل على ثقافته الشعرية فى مجال الفروسية، مما يؤصل لقاعدته اللغوية، ويزيد فى ثروته المعجمية.

يقول الشاعر فى صراع أحد الأقران فى ميدان المعركة، ليخبرنا عن مهارته الحربية[1]:

يسامى القرن إن قرن . تيممه فيعتضده

فيأخذه فيرفعه . فيخفضه فيعتضده

فيدمغه فيحطمه . فيخضمه فيزدرده

فالشاعر يصف نفسه بالليث، وماذا يفعل مع فريسته فى ميدان المعركة، وقد جاءت المتناقضات فى البيت الثانى لتعبر عن مهارة، فهو يعتضده أى يأخذه تحت عضده، ليصرعه، ثم يرفعه ويخفضه، فتدور رأسه، فيلقيه صريعا على الأرض، وهذه مهارات يدوية تشترك مع مهارات الأسلحة فى إبراز فروسيته وقوته وبسالته.

ثم انظر إلى مهارته فى تلك القصة التى يحكى فيها عما فعله بهوازن، بعد أن استغاثت به عصبته مذحجيه، يقول[2]:

فقلت لخيلى انظرونى فإننى . سريع إليكم حين ينصدع الفجر

وأقحمت مهرى حين صادفت . على الطف حتى قيل قد عقر

---

(1) الديوان ص ٨٨ – ٨٩ .

(2) السابق ص ١١٩ .

فأنجيت أسرى مذحج من . ولم ينجيهم إلا السكينة والصبر
ونادوا جميعا حل عنا وثاقنا . أخا البطش إن الأمر يحدثه
وأبت بأسرى لم يكن بين قتلهم . وبين طعانى اليوم مادونه الفتر

فقد عمد الشاعر إلى الحكى، لتظل قصة فروسيته فى تلك المعركة تتناقلها الألسنة وتدور مع الأيام دورتها.

وهى قصة جديرة بالحكى والترديد، لأن الفارس لم يخش هلاكه، أو يهاب الموت، حين هجم على بنى هوازن بمفرده مع بزوغ الفجر، وبالصبر والتحلى بالسكينة- وهى من مميزات الفوارس- حيث قام بتخليص بنى مذحج من الأسر، ولم يكتف بتخليصهم، بل استطاع أن يأسر عددا من أعدائهم، ولم يكن بينهم وبين قتله إلا كما بين السبابة والإبهام.

ومن مهارات الحرب والقتال، الكر والفر والجرى، هجوما وصدا، على حسب ما تقضى ظروف المعركة، فكل فارس جدير بهذا اللقب، له من الدراية والخبرة، ما يجعله عليما بأمور القتال وفنون الحرب، ومتى يكر ومتى يفر؟

يقول عمرو[1]:

هتفت فجاءت من زبيد . إذا طردت فاءت قريبا
علام تقول الرمح يثقل . إذا أنا لم اطعن إذا الخيل

فالشاعر يتساءل متعجبا متنكرا، لماذا يحمل السلاح إذا لم يبل به فى الحرب، ولم يكر به على عدوه فى وقته؟

ويحدثنا الشاعر عن استعداد المقاتلين، وما يحمل كل منهم من أسلحة مختلفة، يظهر بها فروسيته، وتعينه على منافحة ومجالدة قرينه، يقول[2]:

قوم إذا لبثوا الحديد . تنمروا حلفا وقدا

(1) الديوان ص ٧٢ .
(2) السابق ص ٨٠ - ٨١.

كـــل امـــرىء يجـــرى الـــى ∴ يـــوم الهيـــاج بمـــا اســـتعدا

ويؤكد الشاعر على حقيقته فى ميدان الحرب، فهو يأبى الفرار، وإنما دائما هو كرار، لحماية ما يجب عليه أن يحميه من آل ومال وغيرها، يقول[1]:

ببـــاب القادســـية مســـتميتا ∴ كليـث أريكـه يـأبى الفـرار

أكـر علـيهم مهـرى وأحمـى ∴ إذا كرهـوا الحقـائق والـذمارا

٣ـ نتيجة المعركة:

والمعركة- أى معركة- لابد أن تسفر عن ضحايا وأبطال إضافة إلى الدماء التى خلفتها.

أـ الـدم:

وفى لغة الشاعر الانفعالية يتكرر ذكر الدماء، نتيجة الكر والفر، والضرب والطعن، أو مرادف الدم، أو ما يدل عليها، على أن الدم لا يسيل من البشر المحاربين فقط، وإنما يسيل أيضا من الخيل التى يركبون، يقول[2]:

بساهمة خضن بجاديات ∴ سوابقهن كالحدأ الشحاح

فالخيول محمولة فى كراهية على الجرى، وما ذلك إلا للدماء التى تسيل منها، وقد لصقت بجسدها من كثرة الضرب والطعن.

ويبث الشاعر الرعب فى قلوب مناوئيه، ويتوعدهم بالهلاك والقتل، وإسالة الدماء، يقول[3]:

لو كان عباس هنالك حاضرا ∴ لهوى وقد خضب الجبين بعصفر

---

(1) السابق ص ١١٥ .

(2) الديوان ص ٧٦.

(3) السابق ص ١٢٠ .

فقد توعد عمرو العباس بن مرداس وقد غاب عن المعركة، بما كان يحدث لو شارك " لهوى وقد خضب الجبين بعصفر" لهوى من شدة الضربة، وقد سالت الدماء منه.

وانظر إلى تلك الصورة التى يصف فيها الشاعر هذا الخصم الذى انهال عليه عمرو طعنا وضربا حتى سالت الدماء منه، وصار يعثر فيها[1]:

تراه حين يعثر فى دماء ∴ كما يمشى بأقدحه الخليع

إنه يعثر فى دمائه كما يعثر الخليع الذى قُمر ماله، فإذا به لا يقع إلا على الخمر، فهو فاقد وعيه وتركيزه، ويتلجلج فى مشيه.

ويستخدم كلمة الأشقر للدلالة على لون الدماء، وكذا كلمة الخضاب يقول[2]:

فى فتية من قومه خضبت ∴ سواد اللحى من عاتك

لوما وقعنا فى التنازل ∴ مثل النعامة محافة للأشقر

فأن تخضب لحاهم السوداء بالدم من سيف عمرو، فكم يقدر هذا الدم الذى حول اللحية السوداء إلى اللون الأحمر؟ ومن ثم يصدرون صوتا كصوت النعام، لهذا الدم الذى علق بلحاهم وأجسادهم.

وحتى فى مجال الغزل، تغلب على الشاعر لغة الفروسية والحرب والقتال، فالغزل ميدان للفروسية أيضا، فالشاعر يريد أن ينتصر على أقرانه فى ميدان حب محبوبته، ومن ثم تراه يذكر لون ثياب محبوبته بما يراه فى ميدان المعركة، يقول[3]:

وصبغ ثيابها فى زعفران ∴ بجدتها كما احمر النجيع

فالجدة هى الطريقة فى الثوب تخالف لونه، وقد تغير لون ثياب المحبوبة، فأصبح كالزعفران يشبه الدم الأحمر.

---

(1) السابق ص ١٤٤.

(2) الديوان ص ١٢٠.

(3) السابق ص ١٤٢.

بـد المــوت:

وتأتى النتيجة الحتمية للضرب والطعن، وهى الموت الذى يزهـق النفس، فترى لفظ الموت أو صورته من لغـة الشاعر التى تعبر عن فروسيته، وما استخدام مفرداتها التى تجرى على لسانه إلا أنه يعيش فى عالمها، يقول[1]:

وقرب للنطاح الكبش يمشى ∴ وطاب الموت من شرع وورد

فالموت يطيب، وطريقه محبب للفرسان، فالكل يذهب للموت بعد النزال والضرب والطعان، كما يسير العطشان إلى الماء، فاللهفة والشوق لقتل الخصم وإزهاقه روحه أهم ما يحرص عليه الشاعر وقومه.

ويتأكد العدو فى ميدان المعركة أن قدوم عمرو فى الميدان، وقدومه عليه معناه موته وهلاكه، يقول[2]:

فلولا قيتنى للقيت ليثـا ∴ هصورا ذا ظبا وشبا جداد

ولاستيقنت أن الموت حق ∴ وصرح شحم قلبك عن سواد

فإذا كنت متيقنا من الموت، فماذا تكون عليه خبيئتك تجاه قاتلك؟ "صرح شحم قلبك عن سواد".

وقد يستخدم الشاعر لفظ يدل على الموت، فصورته توحى بمفارقة الروح للجسد، يقول عن بنى سليم قوم العباس بن مرداس، بعد أن انهالوا عليهم وأحاطوا بهم من كل جانب ، فكانت الشيجة[3]:

ثم استمر القوم فوق ركابهم ∴ وسليم صرعى فى العجاج الأكدر

---

(1) الديوان ص ٩٦ .

(2) السابق ص ١١١ .

(3) السابق ص ٦٧ .

فقد ظل الشاعر وقومه فوق ركابهم، ثابتين لا يتزحزحون عن خيولهم، بينما سليم "صرعى" مقتولين فى الغبار الأسود المتصاعد من أرجل الخيل فى ميدان المعركة.

وأما عن الأثر المترتب على ما يحدث فى المعركة، فلم ينس الشاعر أن يذكره، كألفاظ لغوية متصلة بسائر الألفاظ الدالة على الفروسية والشجاعة.

يقول عمرو بعد أن غزا بنى الحارث، فأصاب فيهم وانتصف منهم، مخبرا عن الأثر الذى ترتب عن هذه الإصابة[1]:

عجت نساء بنى زياد عجة ∴ كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

فانظر إلى الفرق بين طراخ وعويل نساء القبيلتين؟ فعجيج نساء بنى زياد، صراخ وعويل، وعجيج نسوة قوم عمرو، فرح وتفاؤل بالظفر.

وكانت العداوة والخصومة والقتال على أشدها بين قوم عمرو وبنى زيادة، فتراه فى قصيدة أخرى، يذكر الأثر المترتب على هذه الحروب[2]:

فأثكلنا الحليلة من بنيها ∴ وخلينا الخريدة للنكـاح

فالثكل للزوجات يفقد أبنائها، والسبى للفتيات البكر، حتى يتزوجوا بهن ويتمتعوا.

---

(1) الديوان ص٦٧.

(2) السابق ص ٧٧.

الخاتمة

وفى ختام تلك الدراسة يجمل بنا أن نحيل القارىء الكريم إلى أهم النقاط التى ظفرنا بها من خلال البحث (أثر الفروسية على اللغة الشعرية عمرو بن يكرب انموذجًا) على أن نترك ما قد يراه فيها من أمور لتعطى ملمحًا ورؤية جديدة، وأبرز هذه النتائج، تمثل فى التالى:

١- أغلب قصائد عمرو الزبيدى ومقطعاته تخلو من المقدمات الطللية الغزلية، لأنه شاعر فارس، وهب حياته للمعارك والحروب، فلم يتسع له الوقت للقيام بمغامرات عاطفية، أو الدخول فى نزوات نسائية، فغرامه وعشقه لسيفه ورمحه، ومغامراته فى دخوله فى معارك يحقق فيها البطولة والنصر، وهذا يأتى بتأثير من حسه الفروسى، فلم يكن يعنيه إلا النصر فى ميدان القتال، والفخر بمهارات النزال فى ساحة الوغى مع الأقران والأبطال.

٢- من خلال تتبع لغته الشعرية، نلاحظ خلوها- غالبا- من ألفاظ وتراكيب ودلالات إيحائية تتضمن معانى الحزن والتحسر، والأسى والشجن والأسف، والتباكى وابتلاع غصات الألم، لأن الشاعر لم يتعرض لمحطات أليمة فى حياته، باستثناء قصائده فى مقتل ابنه، وفى أخذ الثأر لأخيه، التى تحمل دلالات الحزن والأرق والشجن والحيرة وإثارة التساؤلات.

٣- تأتى لغة الشاعر وألفاظه، أحيانا فى صورة مباشرة، لا تحتاج إلى كد ذهن وشحذ فكر، وأحيانا أخرى نجدها توشى بوشاح مجازى، يثرى معانيه وأفكاره وتجعلها أكثر تأثيرا وجاذبية.

المصادر والمراجع

١- تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلى- د/شوقى ضيف، ط دار المعارف – ط الأولى ١٩٦٧م .

٢- التصوير الشعرى رؤية نقدية لبلاغتنا العربية د/عدنان حسين قاسم – الدار العربية للنشر ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٣- حلية الفرسان وشعار الشجعان لعلى عبد الرحمن بن هذيل الأندلس تح/محمد عبد الغنى حسن- دار المعارف- مصر ١٩٥١م .

٤- الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون- ط١ ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م حـ ١٢٠/٧.

٥- ديوان عمرو بن كلثوم الناشر دار الكتاب العربى ١٩٦١م .

٦- ديوان عنترة بن شداد- تحقيق/ خليل الخورى- ط مطبعة الجامعة ١٨٩٣م .

٧- ديوان معاوية بن مالك – تحقيق/عزه حسن- منشورات دار الثقافة دمشق ١٩٧٢م

٨- شرح ديوان المتنبى- تحقيق/مصطفى السقا وآخرين- ط مطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر ١٩٧٣م .

٩- شعر الحرب حتى نهاية القرن الأول الهجرى - د/نورى حمودى القيس- عالم الكتب ط - مكتبة النهضة العربية .

١٠- شعر عمرو بن معد يكرب- مطبوعات مجمع اللغة بدمشق- جمعه مطاع الطرابيشى– ط٢- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١١- علم الدلالة- د/أحمد مختار - دار عالم الكتب القاهرة- ط٤ ١٩٩٣م .

١٢- عمرو بن معدى كرب ح جمعه مطاع الطرابيشى ط٢- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

١٣- الفروسية فى شعر الخوارج، د/طلعت صبح ط مطبعة الرضا- ط الأولى ١٩٨٥م .

١٤- لغة الشعر العربى د/ عدنان حسين قاسم– ط دار العربية للنشر مدينة نصر ط الأولى ٢٠٠٦م

١٥- مقدمة فى دراسة الأدب الإسلامى د/ مصطفى عليان – ط دار المنارة – جدة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
- المقدمة	
- التمهيد	
المبحث الأول: الفروسية واللغة الشعرية معناها، أسباب نشأتها ..	
المبحث الثانى: اللغة الشعرية	
الفصل الأول **المستوى اللفظى للغة**	
المبحث الأول: ألفاظ الخيل وأوصافها	
المبحث الثانى: ألفاظ الحرب والجيش والأسلحة	
الفصل الثانى **المستوى التركيبى والانفعالى للغة**	
- المبحث الأول: اللغة التكرارية	
- المبحث الثانى: اللغة التصويرية	
المبحث الثالث: اللغة الدموية لغة الصراع والأحداث	
- الخاتمة	
- المصادر والمراجع	
- فهرس الموضوعات	